بين حبي وحلمي

الطّبعة الأولى
السداسي الثاني 2019
كل الحقوق محفوظة لصالح دار الكلمات للنشر والتوزيع
ردمك:ISBN:978-9931-695-60-8

يمنع إعادة إصدار أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيَّة وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي مسبق من الناشر

دار الكلمات للنشر والتوزيع
العنوان: لانطندا مقابل الطريق الوطني تازولت. باتنة
email:dar.elkalimat2018@gmail
الهاتف: 213 – 791 - 681 - 304

رواية

بين حبي وحلمي

سعاد بلوني

لو خُيرت بين حلمك وحبيبك من ستختار؟

حلمك جزء من نفسك من حياتك وهو غايتك، وحبيبك هو حبيبك، هو من ترتاح له نفسك ويهواه قلبك ويرغب في إكمال الحياة معه.

أحبك ولكن حلمي يأبى إلا أن ينتصر،
سأشقى من دونك ولكني سأموت من دون
حلمي.

أحب أن أهدي هذا العمل كتقدير إلى كل من يعمل في الحماية المدنية، إلى كل من اختار هذه المهنة لأنه بطل، لأن البطولة تجري في عروقه والرغبة في مساعدة الناس هدفه، إليك أنت يا غالي، من قبلك أنت كنت أظن -وإن بعض الظن إثم-أن البطولة تكتسب بالخبرة ولا تولد معنا، إليك إذا يا من ولدت بطلا.

إليك أنت لأنك ألهمتني بفكرة الرواية، وبطلة روايتي تشبهك إلى حد كبير، حتى أنني أخذت من شخصك لأكون شخصها، ستبتسم حين تقرأ عن عنادها أمام عائلتها من أجل أن تكون اطفائية على أن تعمل بشهادتها، سيذكرك تمسكها بموقفها بنفسك، وسيحيي فيك الكثير من ذكرياتك.

أحبك حب العبد الصالح لنفسه حب الأم لطفلها حب النبات للماء.

لا أعلم كيف، لكن فكرة روايتي والعديد من تفاصيلها مستوحى منك.

نشأت روح روايتي هذه لما رأيتك محترق الكتف، فسألتك عن السبب، فأجبت أنه في آخر عملية إنقاذ لك وقع جزء من السقف المحترق على أحد من عناصرك، فأنجدته بوضع كتفك ويدك بينه وبين ما وقع.

خفت عليه لأنه تحت مسؤوليتك، ولأنه والد لرضيع ولم تشأ أن يتيتم ابنه، فضلت حياته على حياتك، أردت أن تنقذه بأي ثمن لأنك بطل وولدت بطلا، وأحسب أن كل شخص يهتم لسلامة غيره وحياتهم بطل حقيقي. كبرت في نظري مع أنك كنت دوما كبيرا في نظري ولا زلت دوما كبيرا في نظري.

لن أذكر اسمك فالشهرة لا تعنيك، وليست غايتي من هذا الكلام، فقط أردت أن أشير أن الفكرة والكثير من تفاصيل روايتي مستوحى من شخص غال على نفسي.

أحبك يا غالي.

نضج الحلم منذ زمن ولا بد من يوم يقطف فيه وينال المراد.

إن الحلم إن لم يقطف حين نضجه سقط من الفكر كما يسقط الثمر من الشجر.

إن من الحلم ما يستغرق الدهر لينال.

والحياة قد تظهر لنا نوعا ما طويلة حين يكون المراد بعيدا، ولا بد من أعوام طوال للوصول إليه.

وهكذا كان حلم ليلى، بعيدا بالمنظور الزمني للأشياء، ولكنه ناضج كفاية من يومها، من يوم الحادث الذي ماتت فيه عمتها الوحيدة.

في ذلك اليوم قررت ليلى ما يجب أن تكونه مستقبلا وما عليها تحقيقه. كانت تعرف أن الأمر سيتطلب صبرا وأعواما طوالا، لكنها كانت مستعدة لكل شيء في سبيل تحقيق الحلم.

أي صحيح أنها كانت تدرك كل الإدراك أن الكثير سيقف محايدا أو معارضا كليا لحلمها، لكن قرارها كان واضحا من البداية.

هي العادة أن تترافق ليلى حين ذهابها إلى المدرسة صباحا مع أطفال من جيلها في العاشرة من العمر، في شارع

جميل في العاصمة محاط بأشجار مؤدٍ إلى حيث المدرسة الابتدائية.

خلال مشيهم وحقائبهم الثقيلة على ظهورهم، جرت العادة أن يضحكوا لأتفه الأمور ويتحدثوا في أمور بسيطة تخص طفولتهم وأحلامهم، ويحدث أن ينسوا المدرسة وينشغلوا باللعب أو الحديث في أمر ما بدل التوجه إلى الدراسة، وحين وقوع أمر مثل هذا دوما ما تقوم ليلى بدور المعلم أو القائد وتذكرهم بوجوب الانضباط في الحياة لنجاح وبلوغ المراد وبالطبع كثيرا ما يستغرب الأطفال من حديث ليلى المشابه لقول الكبار.

الحقيقة أن ليلى تبنت حلما وكانت مستعدة لكل شيء من أجله، كانت مستعدة أن تتخلى عن اللعب وعن الأصدقاء لأجله.

كانت مستعدة أن تتخلى عن طفولتها من أجل أن تصل إلى مبتغى قلبها، أصلا طفولتها لم يعد لها وجود من تلك الليلة السوداء التي ارتسمت فيها معالم هدفها في الحياة، من تلك الليلة التعيسة التي غاب فيها القمر، ربما حزنا على عمتها البائسة.

كانت تلك الليلة باردة جدا مع أنها ليلة صيفية، كان الكل جالسا في الفناء الخارجي للمنزل بما فيهم ليلى.

تعبت ليلى من تأمل الوجوه الكئيبة الباكية فرفعت رأسها الى السماء لتأنس بالقمر أو النجوم فتحدق فيهم ويخف ما في فؤادها من ألم.

غاب الكل عن الناظر بسبب السحاب.

حولت ليلى بناظرها من السماء إلى الفناء، ثم الى الصالون حيث جثة عمتها مستلقية، لتجد المعزين يتدافعون ويتناوبون على رؤية الجثة.

منعت هي من رؤية العمة لأنه وحسب قول أمها الأمر عسير ولهذا سيكون شديدا عليها ولن تتحمله.

لم توافق أمَّها الرأي. لكن ليس باليد حيلة، عليها الطاعة مرغمة لا راغبة.

مضى وقت طويل وهي على نفس الحال وعلى نفس الوضع من الجلوس تعد عدد الحضور، فجأة ترى مراد يتسلل إلى الصالون، فتسرع خلفه على عجل وتدخل معه دون أن يلحظ أحد من العائلة الأمر.

بسرعة تجد نفسها واقفة أمام ما كان لابد أن يكون جسد عمتها الجميلة.

لم يكن هناك سوى بقايا جسد نهشته النار نهشا فأخذت منه الكثير ولم تبقِ إلا على القليل، وحتى القليل الذي أبقت عليه غيرت من لونه وشكله الحقيقي.

حدقت ليلى جيدا في الجثة لعلها تجد ذلك الجسد الجميل الرشيق الذي اتسمت به عمتها، لكنها للأسف لم تجد شيئا مما أرادت وتخيلت وجوده وتمنت رؤيته للمرة الأخيرة.

أيعقل أنه من الصعب الحصول على ما نريده ونتمناه أحيانا إلى هذا الحد؟

إن ما تريده شيء بسيط، رؤية جسد ميت بكل تفاصيله، فَلِمَ لا تستطيع نيل مرادها أهو شيء مستحيل أم ماذا؟

لم يكن هناك وجود لجثة، فالموجود أمامها كان مجرد جسد التهمته النار ولم تبقِ إلا على جزء بسيط منه فكيف لمرادها أن ينال.

أمسكت بثوب مراد وهي ترتعد وترتعش فتراقص الثوب من الخوف تحت أصابعها الرقيقة.

أحس مراد بخوفها ولم يهن عليه أن تكون قد رأت وتعمقت في هذا المشهد كثيرا، وهل يكون الأوان قد فات وما عساه أن يفعل.

وضع مراد يده على مرأى من عينيها ليحجب عنها هول المشهد، لكنها أخذت يده ورفعتها لتكمل رحلة التأمل وهي تقول: ***-مراد أنا أريد أن أرى عمتي للمرة الأخيرة أو ما تبقى من عمتي أرجوك.***

كانت العمة محترقة كليا.

وجه أسود ملتفح من الاحتراق ومن شدة ذلك غابت عنه معالمه الأصلية.

حدقت ليلى في عيون عمتها المغلقة وهي تقول بصوت خافت مرتعد: ***-حتى أهدابك وجفونك الجميلة احترقت عمتي ألم ترفق النار بتلك العيون.***

واصلت التأمل إلى حين وصولها للجهة السفلية من الجسد، شيء ما جعلها تركز في الجهة السفلية، بكت غياب هذه المنطقة بالتحديد وقالت بصوت مرتعد: ***-مراد ألم يعد لعمتي أرجل.***

مراد: ***-احترق كليا الجزء السفلي من جسدها.***

خرجت ليلى مسرعة وضلت تتقيأ لأسبوع كامل.

في تلك الليلة ولد حلم ليلى ولد من جراح، من رماد الاحتراق الذي أودى بعمتها إلى الهلاك.

لابد ان تكون اطفائية لتنقذ الناس لتنقذ الناس من الحريق من الموت.

حلم ليلى كان نتاج ما أصاب العمة.

حلمها زاد في عمرها سنوات لم تعشها.

حلمها خلق في ذهنها ما لا يفقهه من في عمرها.

حلمها منحها خبرة لم تحصل عليها على أرض الواقع، لكن حصلت عليها من المشهد الذي رأت عليه عمتها في آخر يوم لها على الأرض قبل أن توضع تحت الثرى.

حلمها جعلها تعي قيمة الوقت والعواقب المترتبة عن تضييعه في أمور لا معنى لها.

دخلت المعلمة وكتبت على السبورة بالطباشير الأبيض، حلمك في المستقبل، واستدارت إلى التلاميذ: ***-ما هو حلمكم؟ هذا موضوع درسنا، وسنختمه بعمل منزلي يتمثل في تعبير كتابي عن حلمكم وكيف الطريق لنيله، ولكن قبل ذلك أحب أن أسمع منكم عن أحلامكم.***

تستدير مرة أخرى إلى السبورة وتكتب تاريخ اليوم الذي نسيت كتابته في بداية الدرس وتكتب بخط كبير في وسط السبورة:

ماذا تريد أن تكون مستقبلا أو بالأحرى ما هي الوظيفة التي تريد أن تشغلها مستقبلا؟

وهكذا تحول القول والمكتوب من كلمة حلم إلى كلمة الوظيفة التي نريد أن نشغلها مستقبلا، وكأن الحلم مرادف العمل المستقبلي في اللفظ مع أن كلمة الحلم أعمق وأوسع من أن تشملها كلمة المهنة المستقبلية.

الحلم احساس مرتبط بشيء لابد من لمسه يوما وفكر منشغل بشيء لابد من التخطيط والتعب لنيله يوما.

يقف طفل ويقول: -***أريد أن أكون طبيبا لأعالج الناس مثل والدي***

يجلس وتقول الأستاذة: -***ماذا عنك يا حميد، ماذا تريد أن تكون في المستقبل؟***

ترى الأستاذة أن الولد محتار غير عارف بما يجيب، وتستدير لترى من جهة أخرى ليلى، الفتاة الصغيرة بالملامح الجميلة رافعة يدها في شوق وتحمس للإجابة.

الأستاذة: -***سأتركك تفكر قليلا***

تقترب من ليلى وتقول: -***ما هو حلمك يا ليلى؟***

ليلى: -***أن أكون اطفائية... اطفائية.***

الأستاذة: ***-ما... أقصد لمَ... اطفائية؟***

ليلى: ***-لمساعدة الناس***

مضى على ذلك التعبير الكتابي ما يناهز خمسة عشر عاما.

كتبت ليلى يومها أنها تريد أن تكون اطفائية، وشرحت موقفها ورغبتها الكبيرة في بلوغ حلمها الذي توضحت معالمه يوم موت عمتها في ذلك الحادث، وشرحت على الورق ما كان يسكن الروح ويخطط له العقل.

مضت الأعوام وليلى على عهدها لم تتغير فيما يخص موقفها بأن تكون اطفائية.

حققت ليلى حلمها بجدارة بعد أعوام طوال ملؤها العمل والاجتهاد واليوم هو يوم تخرجها والذي يوافق حفل تخرج الدفعة العاشرة من مركز تدريب الإطفاء والإنقاذ.

وبهذه المناسبة الضخمة أقيم في فناء مركز تدريب الإطفاء والإنقاذ استعراض ضخم لعرض امكانيات المركز ومهارات الخريجين.

احتشدت صفوف من الخريجين بثياب رسمية للاحتفال ونيل رتب تخرجهم.

كانت ليلى واقفة فرحة في الصف الأول وليس بعيدا عن الصفوف المحتشدة أقيمت منصة للقادة.

يخطب أحد القادة ويقول: -سعداء جدا نحن بكم وأنّكم كنتم متربصين في مركزنا، لقد سعينا جاهدين لتعليمكم كل ما يخص الحماية المدنية، عشنا معا عاما كاملا ملؤه العمل، كانت هناك أيام صعبة أرغمناكم فيها على التدريب الشاق، ولكنني اليوم وأنا أراكم واقفين أمامي في انتظار نيل استحقاقاتكم أقول أنّ الأمر كان يستحق كل ذلك التعب.

أتشرف بالطلب من الكولونيل محمد نصير الاقتراب لتكريم طلبتنا بمناسبة تخرجهم.

المرتبة الأولى تعود للضابط ليلى بنامري.

تقترب ليلى بعد سماع اسمها وتصعد الدرج إلى المنصة حيث يقف القادة وذلك تحت تصفيقات الحضور.

تسلم على الكولونيل وهي تقول بصوت خافت يكاد لا يسمع: ***-جدي متشرفة بأن تكون الشخص الذي يتوج تخرج دفعتي ويضع النجمتين على كتفي.***

الكولونيل: ***-سعيد بأنك صاحبة المرتبة الأولى.***

يضع لها النجمتين على كتفيها وتستدير إلى الجمهور وهي متهللة فرحة.

مضى الوقت سريعا وبات حفل التخرج ذكرى مضى عليها أكثر من شهرين.

عادت ليلى بعد الحفل مباشرة إلى منزل أهلها، تاركة خلفها الكثير من الذكريات التي عاشتها في المركز مع زملائها المتربصين.

تدخل ليلى إلى غرفتها وتأخذ طقم الحماية المدنية من الخزانة وتشمه من بعد ذلك تقبله وهي تقول: ***-لقد كان حلمك يا عمتي قبل أن يغدو حلمي، آسفة لأنك لم تستطيعي عيش حلمك حتى يكتمل فعليا وتقطف ثماره.***

ترتب الطقم مرة أخرى بحذر لتعيده على سيرته الأولى وترجعه إلى مكانه في الخزانة المفتوحة أمامها، وهي تضعه تسمع طرقا على الباب ...

ليلى: ***-ادخل***

تدخل الأم وهي منزعجة تقترب وتجلس على طرف السرير وتقول: ***-ألن تغيري رأيك إذن***

ليلى: ***-هو حلم حياتي***

الأم: ***-حققتيه بدراستك في مركز الحماية المدنية ماذا تريدين أكثر من هذا أم هو عناد وفقط؟***

ليلى: ***-حلمي هو أن أعمل كضابط في الإطفاء لا أن أدرس فقط في المركز.***

الأم: ***-اعملي كمهندسة بشهادتك الأساسية وانسي الإطفاء وهذا العمل الخطير***

الأم بعد صمت وتفكير: ***-ابن عمك مراد لن يقبل الزواج بك إن قررت الإكمال في هذا الطريق تعرفين مدى حساسية الأمر بالنسبة له، فمنذ موت خديجة ومراد يكره هذا العمل، وليس الوحيد في العائلة، والدكِ أيضا لا يريدكِ أن تعملي في الحماية المدنية ولكنه لا ينطق بالرفض احتراما لحرية اختيارك وحبا لك وإرضاء لأهوائك التي تسمينها أحلاما.***

يظهر على ليلى الانزعاج، تتوجه نحو النافذة، تبعد الستار لترى الحي تحت الأضواء الليلية وتتنفس بعمق لاستعادة أنفاسها.

الأم: ***-هل أنت حقا مستعدة للانفصال عن خطيبك من أجل هذا العمل؟ ...حتى أن دخله زهيد مقارنة بمخاطره... وماذا... وماذا عن أختك؟ أهذه هي القدوة التي تعطيها اياها؟ أتعلميها أن تواجه الكل من أجل شيء واحد؟، أنت تقفين ضد الكل من أجل حلم واحد، أنت تقفين حتى أمام سعادتك من أجل حلمك، سعادتك في الزواج والعمل كمهندسة وانجاب أولاد...***

ليلى: ***-هل عليّ أن أضحي بحلمي من أجل الزواج بمراد؟ لماذا لا يفهم موقفي فيما يخص هذا العمل وما وقع لعمتي؟، هل عليّ أنا فقط أن أضحي؟ وزد على ذلك عليّ أن أكون أيضا قدوة للمدللة أختي؟ ألا تعتقدين أن هذا كثير عليّ أمي؟ ومن ثم سعادتي متوقفة على العمل الذي اخترته ليس فقط على الزواج مع أن انفصالي من مراد قد يهدم...***

تصمت ولا تكمل وتفهم الأم ما كانت تريد قوله

الأم: ***-توقفي عن أنانيتك وفكري في والدكِ إن أنتِ انفصلتِ عن ابن أخيه***

ليلى: ***-لا تعقديها أمي، لست أنا من يريد الانفصال بل هو من يريد الانفصال عني***

الأم: ***-توقفي عن التفلسف***

ليلى: ***-لا أتفلسف بل أقول الحقيقة***

الأم: ***-أي حقيقة؟ ربما حقيقة أنك تفضلين العمل على مراد ابن عمك الذي تربيت معه وأحبك منذ أن كنت طفلة صغيرة.***

ليلى: ***-لماذا تزنين الأمور بهذه الطريقة؟ أنا أحب مراد لكنه يخيرني بينه وبين حلمي، لا أفهم لمَ علي أن أضحي***

بحلمي من أجل أن أكون معه، ألا يمكن أن يقبل بكوني سأعمل في الحماية المدنية؟

لا تجد الأم بما تجيب فتصمت برهة تم تقول: ***-ماذا عن أختك هنى ألم تفكري فيها وفي حبها الكبير لأخ مراد سليم إذا انفصلتِ ماذا سيقع عليها ...***

لا تجيب ليلى وتضل محدقة إلى الخارج من النافذة.

تقف الأم وتقترب من ليلى تُرَبِتُ على كتفها وهي تقول: - ***فكري جيدا قبل الإقدام على شيء مثل هذا.***

تخرج من الغرفة وهي تقول: ***-ليلة سعيدة.***

تتنفس بعمق في محاولة لها لاستعادة أنفاسها ثم تتوجه نحو السرير وتجلس وهي تفكر فيما قالته لها أمها.

هل يعقل أن حلمها سيجعلها تفقد أحب شخص إلى قلبها مراد.

مراد ليس حبيبها فقط أو ابن عمها بل مراد هو ذلك الشخص الذي وقف معها دوما وساندها وساعدها وأخرجها من الصعوبات.

مراد هو ذلك الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفهمها دون ان تنطق بحرف.

مراد هو كونها والوحيد الذي خططت أن تكمل فيه ومعه حياتها.

اليوم لم تعد تدرك ما عليها أن تفعله لتحتفظ بمراد بجانبها، فلا يمكن أن يكون ثمن الاحتفاظ به غاليا كل هذا الغلاء، أيعقل أن يكلفها بقاء مراد معها التخلي عن حلمها الذي عملت من أجله كل هذه السنين الماضية؟

تستلقي على السرير وتغمض عينيها وهي تقول في نفسها لكل مشكلة حل كما لكل داء دواء سيجد الله لي حتما مخرجا.

تدخل الأم الصالون بعدما انتهت من ترتيب المطبخ وتجلس على الأريكة قرب هنى المستلقية والكراس بين يديها وهي مركزة في الفيلم وعلى التلفاز أكثر من تركيزها في الدراسة.

الأب على الأريكة الأخرى بدوره جالس يشاهد الفيلم.

الأب: ***-ماذا قالت لك ليلى؟***

الأم: ***-ابنتك وتعرفها لا تصغ إلا لنفسها أو لمراد.***

تصمت قليلا ثم تستطرد وتقول:

- إلا في هذا الأمر فهي غير مهتمة برأي مراد بل قرارها فيه تحد لمراد.

هنى: ***-توقفا عن الحديث ألا تريان أني أراجع فالامتحانات قريبة أنا أدرس وأحاول حفظ كل هذه المعلومات عليّ التركيز. قليلا من الصمت أرجوكما.***

الأب: ***-وهل هناك من يدرس وعينيه على التلفاز... وكيف أن صوت التلفاز لا يزعجك أم أن صوت والديك فقط من يزعج ويمنع عنك التركيز.***

هنى: ***-المسألة مسألة منطق تعتمد عل الكثير من النظريات والشرح.***

الأب: ***-لا أريد أي شرح منك يكفيني أختك ومنطقها والمشكل الذي تريد أن توقع نفسها فيه من أجل حلمها لا أعلم ماذا سأقول لأخي، ابنتي مجنونة أم متهورة أو صغيرة لهذا هي مصرة على رأيها ولو على حساب انفصالها من ابنك.***

هنى: ***-قل له غدت مجنونة من تتبعها لأهواء جدها الحبيب.***

الأم: ***-أنت وأختك لا أستطيع أن أقول في ما يخص أمركما إلا شيئا واحدا ألا وهو أن الدلال الكثير يفسد الطباع و أعتقد أني تماديت في تدليلكما.***

هنى: ***-لا لست مدللة مثلها بل أنا مطيعة، ولا أستطيع الإقدام على ما هي مقدِمة على فعله، أنا لا أستطيع أن أرفض طلبا لخطيبي.***

الأم بسخرية: ***-ومتى طلب منك سليم شيئا حتى ترضي أو ترفضي؟ حسب معرفتي أنت من طلب وهو من لبَّى دوما، حتى أن طلباتك تجاوزت الحدود لتبلغ مبلغ الاستغلال.***

هنى: ***-أمي ارجوك.***

الأم وهي تبتسم: ***-يا حبيبتي ألستُ على صواب أم أن الحقيقة كما قيل على لسان السلف تجرح وصعب سماعها وتقبلها.***

الساعة تشير إلى الحادية عشرة ليلا إلا عشر دقائق

مراد شاب وسيم جدا وطويل في الثلاثين من عمره جالس في مكتبه الموجود في المستشفى الرئيسي، وفي يده ملف أحد المرضى، يدخل أحد الأطباء بعد الاستئذان ويقول بجدية: - ***غرفة العمليات والمريض جاهزون للعملية لم يبقَ سوى عشر دقائق على بدء العملية.***

يقف مراد: -***حسنا شكرا***

ينصرف الطبيب، يضع مراد الملف ويأخذ الهاتف ويتصل بأحدهم.

بعد مدة يقول: -***أردت أن أتمنى لك ليلة سعيدة ليلى***

يصمت قليلا ثم يكمل ويقول: -***أنا أيضا أحبك ولم أحب أحدا مثلك ... بالطبع أنا لن أحب أحدا مثلك أنت الأولى والأخيرة في حياتي ولن يتغير الأمر مهما وقع وهذا وعد علي لك.***

جالسة على سريرها مستندة على عمود السرير والهاتف على أذنها والكمبيوتر المحمول على رجليها تقول بصوت خافت كي لا يسمعها من في البيت: -***أنا أيضا أحبك كثيرا ولن يتغير الأمر مهما وقع وهذا وعد علي لك.***

تضع الهاتف وتكمل مشاهدة صورها مع مراد على الكمبيوتر المحمول وهي تستمع لأغنية لوردة الجزائرية.

اليوم جميل والحرارة معتدلة وفي أيام مثل هذه تفضل هنى المكوث في المنزل لتقضي الوقت مستلقية على الكنبة تشاهد التلفاز.

تستلقي هنى على الكنبة وتبدأ في مشاهدة الفيلم على التلفاز وهي تتحدث على الهاتف: ***-أنا أيضا فكرت في هذا الموضوع ولكن ليلى...***

تتوقف عن الحديث حين ترى ليلى داخلة بلباس رسمي جميل للحماية المدنية ومحفظة رسمية في يدها.

تقترب ليلى من أختها وتطلب منها الاعتدال وتجلس ملاصقة لها وتقول بحب: ***-هل أصبح لأختي الصغرى أسرار؟***

هنى: ***-سيكون هناك أسرار كثيرة وكتمان كثير في هذا المنزل، والأصعب من هذا أنه ستخلق مشاكل كثيرة وتحالفات كتحالفات الحرب العالمية والفضل الكبير يعود لك بجدارة ولجدك الذي قررت أن تكوني من أتباعه***

ليلى: ***-لمَ تحدثينني هكذا... وكأنني فعلت شيئا مشينا تشيب له الولدان وتقوم عليه الحروب والتحالفات... لمَ... ألانني***

تقاطعها هنى: ***-مراد طلب منك أن لا توقعي العقد مع مركز الإطفاء ولكنك مصرة ! هو عقد لخمسة أعوام ومراد لا يريدك أن تعملي مع الحماية المدنية وأنت ستوقعين عقدا لخمسة أعوام أتعاندين أم تنتقمين أرجوك لا تذهبي ولا توقعي العقد ... مراد ... قد ...***

تضع يدها على فمها

ليلى: ***-أكمليها ... قد يفسخ خطوبته معي؟ أمي أيضا قلقة وخائفة من هذا الأمر ... ولكنني لن أتخلى عن حلمي مهما حدث ... إن كان يحبني فعليه تقبل كوني ضابط.***

هنى تضع يدها على كتف ليلى: ***-ماذا عني؟***

ليلى: ***-ماذا عنك؟***

تصمت هنى ولا تجيب.

ليلى: ***-خائفة أن يتخلى سليم عنك مساندا بذلك أخاه؟ ... سليم يحبك ولن يفعل ذلك ومراد لن يقبل من أخيه فعلا مثل هذا.***

تصدق هنى قول أختها وتطمئن له فالأمر لا يستحق كل هذا القلق فهي تمتلك ما يكفي من الذكاء لتجعل الحظ والقبول في كفتها.

تقف ليلى وتقول: ***-عليّ الذهاب لأصل في الوقت إلى الموعد.***

تخرج الأم من المطبخ وبيدها كأس حليب وتقول: ***-لا تخرجي دون أن تأكلي شيئا على الأقل اشربي هذا الحليب.***

ليلى: ***-اعتقدت أنك غاضبة مني بسبب آخر حديث جرى بيننا بخصوص العمل ومراد.***

الأم: ***-ستتزوجين ويصبح لك أولاد وتعرفين قدر حب الأم لأولادها***

تقبل ليلى جبهة أمها وتقول وهي تشرب الحليب: ***-أحبك أمي وأعرف قدر حب الأم لأولادها من حبك لي ومن حبي لك.***

الأم: ***-أسرعي وإلا تأخرتِ***

تغادر ليلى، تقترب هنى وتقبل أمها وتقول: ***-أحبك أمي***

الأم: ***-هل أنت ببغاء كلما قالت ليلى شيئا قلتيه***

هنى وهي تعانق أمها: ***-ألست أمي؟ إذن أنا أحبك أمي وأعرف قدر حب الأم لأولادها من حبك لي ومن حبي لك.***

الأم: ***-حسنا ألم أقل لك أنت ببغاء مقلد لليلى... حسنا هيا أسرعي واغسلي وجهك لتشربي القهوة معنا أنا ووالدك.***

تدخل هنى الحمام وأمام مرآة تغسل وجهها وهي تغني لعبدو درياسة "خاف الله".

وتردد كلماته: "خاف الله طالب منك ترحم حلال دمك غير عليا وطفيلي نار همي طالب منك يا بابا غير اسمك طالب اسمك نبغيه يكون اسمي"...

في المطبخ الوالد والأم حول الطاولة يشربان القهوة ويسمعان صوت هنى.

الوالد يحتسي القهوة وهو منزعج من غناء هنى

الوالد: ***-لمَ تحب هذه الأغنية ... لمَ تصر على غنائها في كل وقت وكأني تخليت عنها من يسمعها قد يتصور أنني رجل لا قلب له ولا ضمير الله يعلم أني مستعد للموت من أجلها هي وأختها.***

الأم: ***-فليحفظك الله لنا وليطول في عمرك***

تبتسم الأم في مكر وتقول: ***-صوتها جميل أخذت من صوتك***

الوالد: ***-الأغنية تهز القلب مع أن الصوت جميل.***

تدخل هنى وهي تقطر ماءً من الوجه وتجلس على كرسي وهي تقول: ***-أريد مبلغا ماليا لـ...***

تقاطعها الأم: ***-لِمَ لَمْ تمسحي وجهك أنت في 18 ولكنك كطفلة صغيرة هل عليّ أن أطلب منك غسل وجهك ومسحه يوميا؟***

هنى: ***-اه اه أمي أنسيتيني ما أردت قوله لوالدي...***

الوالد: ***-أفضل***

هنى: ***-ماذا كنت تقول أبي***

الوالد: ***-لا شيء ههه ... عليك الإسراع للذهاب إلى الجامعة قد كثر غيابك عنها.***

هنى بغضب ودلال: ***-لمَ تضحك أبي لقد نسيت ما أردت طلبه منك.***

الأب: ***-لا يهم اشربي القهوة وأسرعي بالذهاب إلى الجامعة.***

هنى بغضب: ***-تعبت من الجامعة والدراسة.***

الأب: ***-أنت في الجامعة من عام واحد كيف لك أن تتعب بهذه السرعة.***

هنى: ***-أريد سيارة.***

الأب بذهول: ***-ولمَ سيارة وفي هذا الوقت بالتحديد هل بدأ الصواب يغادر جمجمتك بسبب كثرة مشاهدة التلفاز.***

هنى: ***-المشكل ليس في هذا بل لأن عمي اشترى سيارة لسليم وأنا أيضا أريد سيارة منك والدي.***

الأم: ***-عمك ما شاء الله ذو مال كثير بعكسنا لا نملك والحمد لله إلا ما يكفينا لسد حاجاتنا الأساسية فقط.***

هنى: ***-أريد سيارة ... يعني أريد سيارة لا يهمني أي كلام ستحتجان به لرفض طلبي.***

الأب: ***-هل أبيع هذه الشقة ليكون لديك سيارة.***

هنى: ***-أجل إن لزم الأمر المهم أن أحصل على سيارة***

الأب: ***-أنت مجنونة رسميا.***

الام: ***-إن بقينا المنزل سنضطر للذهاب للعيش مع جدك هل ستقبلين بالأمر.***

هنى: ***-تقصدين إن نحن بقينا البيت سنضطر للعيش في سقر... أفضل الموت قبل حدوث الأمر أو أمر مشابه.***

الأم: ***-حسنا فلنغير الموضوع إذاً.***

هنى: ***-لمَ ليلى تمتلك سيارة؟***

الأم: ***-جدك من اشتراها لها لأنها كانت الأولى على دفعتها في الحماية المدنية.***

لم تكن هنى تحب جدها، بل كانت تمقته مقتا عظيما كما هو حال أغلبية العائلة، على خلاف ليلى، فالكل يرى أنه مذنب نوعا ما فيما وقع على العمة خديجة، فهو من أقنعها أن تترك دراسة الطب لتلتحق بالحماية المدنية ولكنها للأسف ماتت في أول خروج تطبيقي لها.

هنى: ***-لا أريد سيارة من جدي كل ما يمكن تحصيله من شخص مثله لا أريده.***

في هذه الأثناء تكون ليلى متجهة إلى مركز الإطفاء في سيارتها، وهي تستمع لنعيمة الدزيرية "يالمقنين الزين"، ومن وقت إلى آخر تطل من النافذة لتتأمل شوارع العاصمة وهي تردد الأغنية بصوتها الجميل، ومن حين إلى آخر تطبل على المقود بلطف.

لكنها توقف الموسيقى بعد أن تذكرت عمتها وجثتها.

لقد كان الأمر رهيبا تمنت لو أنها لم تر ذلك المشهد واحتفظت بصورة عمتها وهي حية ترزق. من المؤسف حقا أنه لا يمكن العودة إلى الماضي لتصحيح أخطائنا وتغيير الأشياء التي ستكون سببا في شقائنا في المستقبل.

ما قد وقع وقع، ولا يمكن تغيير شيء منه. وعلى هذا الأساس المهم الآن بالنسبة لها في الوقت الراهن هو أن تصبح

ضابطا في الحماية المدنية، من أجل أن تحمي جنودها قبل أي شيء، فلو كان المسؤول عن عمتها حكيما، لعلم أن عمتها والمجموعة متخرجة حديثا بدون خبرة، ولما سمح للخريجين الجدد أن يشاركوا في عملية الإنقاذ.

لقد كانت عملية الإنقاذ تلك أصعب عملية قامت بها الحماية المدنية على مر الزمن، فقد كان الحريق في مخبر للمواد الكيميائية، ومات في تلك العملية أكثر من عشرين ضابطا من دفعة العمة، ما يعني أنه لم يبق أي فرد حيا من الدفعة الثانية ـ دفعة عمتها ـ .

سؤال يعشش في دماغها منذ أعوام ولا تجد له أي إجابة: هل تريد أن تصبح ضابطا لحماية المواطنين أو عناصر الحماية المدنية.

الكثير من العناصر لاقوا حتفهم في عمليات الإنقاذ والكثير لا يولي الأمر أهمية قصوى لأنه واجبهم وشرف لهم أن يموتوا وهم يؤدون واجبهم.

ليست موافقة فمن واجب القادة حماية العناصر.

مؤخرا مات أو بالأحرى قتل أحد العناصر من طرف المواطنين.

عدم إدراك البعض لصعوبة عمل عناصر الحماية المدنية يجعل العناصر في مواقف حرجة قد تؤدي حتى إلى أن يستشهدوا.

قام المواطنون برمي هذا الإطفائي إلى البئر بعنف ما جعله يموت مباشرة.

حسب ما سمعته من جدها وما قرأته في الجريدة فقد وصل الإطفائي مع اثنين إلى عين المكان بعد اتصال مفاده أن أحد المواطنين سقط إلى البئر.

وصل الثلاثة ووجدوا الناس بالمئات محيطين بالبئر، بعد معاينة المكان أدرك الثلاثة أن الرجل داخل البئر مجرد جسد دون روح، وأن البئر على عمقه الكبير فيه غازات ما تسبب في موت الرجل واختناقه.

ألح الناس على أن ينزل أحد العناصر لإخراج الرجل، ورفض الضابط المسؤول عن الإثنين أن ينزل أو ينزل أحد الآخرين، بحجة أنه يوجد غازات سامة وأي تهور أو تسرع قد يؤدي إلى الموت، وأكد للحاضرين في عين المكان أنه اتصل بالمركز لجلب المعدات وحال وصولها سينزل لإخراج الجثة.

تدخل الناس المفرط في عمليات الانقاذ يعرض عناصر الحماية المدنية إلى مخاطر قد تؤدي أحيانا إلى موتهم، أو عدم

نجاح عملية الإنقاذ، لكن الكثير من الناس لا يفهم هذا الموقف منا ويعتبره نوعا من التكبر او التصنع.

لم يوافق الموجودون على ما قاله الضابط الذي كان يعتبر خبيرا من الدرجة الأولى، خاصة في هذا النوع من عمليات الإنقاذ واعتبروا شروحاته مجرد ترهات، لهذا قاموا برميه داخل البئر رغما عنه، لإنقاذ الرجل الميت أصلا دون معدات واقية ضد الغازات.

مات الضابط تاركا خلفه رضيعة وأما ثكلى.

مات الضابط دون أي سبب دون أي هدف.

أحست ليلى بألم في قلبها وغضب يعتريها لمجرد تذكر هذه الحادثة التي هزت عناصر الحماية المدنية ودفعت بهم للحداد ثلاثة أيام في جميع أرجاء الوطن.

هي قصص كثيرة الضحايا فيها هم عناصر الحماية المدنية، والسبب يعود لقلة وعي الكثير من المواطنين والإهمال الذي يتسم به القادة الذين لا همَّ لهم سوى ملء البطون والجيوب.

تتذكر أنه مؤخرا أيضا سمعت بموت أحد العناصر حينما حاول منع مجموعة من الشباب من الدخول إلى منزل يحترق.

سعى أربعة من الشباب الدخول إلى منزل يحترق، لإنقاذ سكان المنزل المتبقين فيه حسب قولهم.

أكد لهم الضابط المسؤول عن عملية الإنقاذ تلك أنه لم يبق أحد في المنزل، وأن عناصر الحماية المدنية قاموا بإنقاذ الكل وإسعافهم، وأن المنزل سيقع في أي لحظة ولابد من إخلاء المكان على الفور.

لم يصغوا له ولم يأخذوا بعين الاعتبار كلامه، وكأنهم أكثر خبرة منه، ودخلوا رغما عن الكل لحق الضابط بهم لمنعهم شفقة عليهم وعلى شبابهم، وقع المنزل ومات الأربعة والضابط.

هكذا هو عمل الحماية المدنية موت بسبب المخاطر وموت من قلة الوعي.

الساعة تشير إلى العاشرة صباحا، مراد في مكتبه في المستشفى واقف يتأهب للخروج، يفك أزرار مئزره واحدا تلو الآخر بهدوء وهو يفكر في أمر ليلى.

يدخل زميلان له في نفس عمره تقريبا في الثلاثينيات دون قرع الباب

منى شقراء جميلة رشيقة القوام، وحسان شاب أسمر قصير نوعا ما

حسان: ***-ألن تأتي معنا إلى المقهى؟ مضى زمن طويل على دخولك الأخير إلى مقهى المستشفى معظم الجراحين يعشقون القهوة سواك...***

يقاطعه مراد: ***-لا***

حسان: ***-يظهر لي أنك مشغول البال ما بك؟***

مراد: ***-اليوم هو اليوم الموعود ... اليوم هو اليوم الموثق لتوقيع عقد عملها لا أدري أي قرار ستتخذه أتمنى أن تتراجع عن موقفها.***

منى: ***-اه نسيت كليا أنها أنهت دراستها في مركز الحماية المدنية، كانت تأتي دوما إلى هنا لزيارتك حين كانت في مدرسة الهندسة المدنية.***

حسان: ***-أتمنى ألاّ تخيب ظنك وترفض العقد، مع أني لست متأكدا فأنا أدرك أشد الإدراك تمسكها الشديد بهذا العمل من يوم موت العمة خديجة. غدى الأمر شغلها الشاغل.***

مع هذا أنا متأكد أنها سترفض من أجلك وفق معرفتي بها هي غير قادرة أن تسير عكس التيار الذي اخترته أنت.

مراد: ***-أنت لا تعرفها اذا هي ابنة عمي قبل أن تكون حبي... وأعرفها جيدا***

منى: ***-لو كنت مكانها لتخليت عن العالم من أجل رجل مثلك ... ليس فقط عن عقد عمل أو صفقة عمل...***

حسان: ***-أنت تعرفين لا أمل لك في مراد تزوجي بي أنا هههههههههههههههههههه وانتهى الأمر لا أفهم سر اهتمامك به مع علمك أنه مهتم بابنة عمه منذ الصغر.***

منى ساخرة وبغضب: ***-ومن أخبرك بكل هذا هههههههههههههههههههههههه***

حسان: ***-قولك وفعلك وكثيرا من الأشياء الأخرى التي لا تعد ولا تحصى دون أن ننسى أهم شيء الإشاعات المتداولة في المستشفى وتعرفين مدى حبي للإشاعات ومدى اصغائي لها.***

منى: ***-وكيف لا وأنت منبعها ومصدرها الرئيسي حتى أن الكل يخاف منك في المستشفى بسبب ترويجك المفرط للإشاعات.***

حسان: ***-أعتبر قولك مدحا مع أني أعرف أنك تقصدين منه الذم.***

منى: ***-هو ذم ولابد ألاّ تعتبره شيئا اخر.***

حسان: ***-ولمَ هذا؟***

منى: ***-أنسيت ما وقع بعدما أشعت في المستشفى أن المدير على علاقة حميمية مع المسؤولة على الشؤون الإدارية للمستشفى لقد كان الأمر كارثيا بكل معنى الكلمة.***

لقد اعتدنا منك هذا النوع من الأمور، لكن هذه المرة كان الأمر أخطر من المرات السابقة، لقد وصل الأمر إلى مسامع الإعلام وكتب في الجرائد "المدير الذي يحب من خلف ظهر زوجته موظفته"، والنتيجة كانت طلب الزوجة الطلاق واضطرار المدير إلى أن يستقيل بعد أن فضح والفضل يعود إليك بالطبع.

حسان: ***-أنا من أطلقت الإشاعة لكنها لم تكن إشاعة بل حقيقة، لقد كان المدير على علاقة مع المسؤولة على الشؤون الإدارية للمستشفى، فقط لم أكن متأكدا من إن كانت العلاقة حميمية جدا أم لا، كان لابد أن أبحث في هذه الكلمة قبل ان أطلقها، خيرها في غيرها.***

منى: ***-لا أفهم لما لا تترك فمك مغلقا.***

حسان: ***-لأني حسان.***

منى: ***-كانت جدتي تقول لي دوما الفم المفتوح يدخله الذباب.***

حسان: ***-أحبك لأنك الوحيدة التي تنصحني في المستشفى بالصمت تزوجي بي.***

منى: ***-غير مهتمة.***

يصمت حسان قليلا ثم يكمل: ***-حقا تزوجي بي، فبعد موت زوجتي غدوت وحيدا أعزب، وزد على ذلك أحبك، أما بخصوص مشاعرك لمراد سأغض الطرف عنها إلى حين يفرجها الحلال وتقعين في حبي ... بشرط أن تعديني بنسيانه بعد الزواج بعام على الأكثر...***

مراد: ***-هل أنتم هنا لإزعاجي أم لرفع معنوياتي؟ مللت من الإصغاء لكما.***

حسان مشاكسا مراد: ***-الإثنان***

منى بحنان: ***-هل أنت غاضب ... نحن حقا آسفان***

حسان مشاكسا مراد: ***-تحدثي على لسانك فقط فأنا غير آسف وأنا صادق في طلب الزواج منك وإن قبلتِ تزوجتُ بك فورا***

مراد: ***-أدعكما ... فأنا ...***

يخرج قبل أن يكمل الجملة

حسان وهو يتأمل منى بحب وحنان: ***-انسيه هو يحب ابنة عمه ولا أمل لك لا أفهم أصلا لمَ أنت مصرة على ملاحقته ...***

منى: ***-لكنه سيفسخ خطوبته إن وقعت العقد***

حسان: ***-اه ... هذا لا يعني أنه سيبحث عن امرأة أخرى***

منى بحزن وغضب: ***-لمَ تحاول كسر قلبي وقتل الأمل فيه أهي هواية عندك أم ماذا؟***

يقترب حسان من المكتب ويجلس على طرفه: ***-أريد حمايتك من حب لا أمل منه، أحبك ولا أريدك أن تتألمي ... مراد مغرم بليلى منذ الصغر هو لم يحب يوما سواها أصلا هو لا يرى امرأة سواها كل النساء عنده في كفة وابنة عمه في الكفة الأخرى...***

تبكي منى بمرارة ...

حسان: ***-الأمر قاس عليك لكنها الحقيقة، أن تخسر في البداية وتعتبر الأمر مجرد نوع من الدروس التي تلقنها لك الحياة، خير من أن تخسر في النهاية وتتألم، انزعي مراد من ذهنك سترتاحين أفضل لك ولي وله.***

تقترب منى من النافذة وتطل فترى حديقة المستشفى ومراد مسرعا في ممر للخروج.

مراد مسرع في ممر الحديقة يصل إلى سيارته، يضع محفظته على المقعد الخلفي ويفتح الباب الأمامي، يجلس

ويأخذ الهاتف للاتصال وهو يقول ليلى إياك إياك والتوقيع يا ابنة عمي.

الساعة تشير إلى العاشرة والنصف صباحا في مكتب الانتظار الموجود في مركز الاطفاء المركزي بالعاصمة، الذي هو عبارة عن غرفة واسعة فيها مكتب كبير مخصص لسكرتيرة ومجموعة من الكراسي الخشبية المصطفة حول طاولة زجاجية مكتظة بكتب، جل مواضيعها عن الحماية المدنية.

ليلى على مقعد للانتظار وبين يديها مجلة عن الإطفاء والمركز ذاته.

تحس بهاتفها يهتز ويرن داخل معطفها وقبل أن تجيب تنادى من أحدهم: ***-ليلى مكتب 4***

تقف وتتوجه إلى المكتب 4، وهي مترددة بين أن تجيب على الهاتف أم تدخل إلى الموعد.

لم يكن لها أن تجيب وهي في هذا الموضع والموقف مع أنها كانت شبه متأكدة من أن المتصل كان مراد، وكانت تعلم حتى بالموضوع الذي اتصل بها من أجله.

تعيد الهاتف إلى جيب معطفها دون أن تتحقق من ماهية المتصل، ترتب لباسها بجدية وتدخل المكتب رقم 4.

على بعد كيلومترات من المركز حيث منزل ليلى.

هنى في غرفتها تتزين أمام المرآة على عجل وهي واقفة مقابلة للمرآة التي بطول حجمها.

يميل قليلا الخط الذي كانت تحاول رسمه على عينها حين ترى أمها في المرآة على عتبة الغرفة محدقة فيها بنوع من الانزعاج.

هنى منزعجة: ***-أمي أهي أسطوانة كل يوم أم ماذا؟ أعرف ما ستقولين...***

الأم: ***-إن لم أفعل هذا فأنت لن تخرجي ولن تقصدي الجامعة يوما.***

هنى: ***-لا أحب الخروج وأنا لست مرتبة***

الأم: ***-سليم منذ الصباح وهو واقف أمام العمارة يرن لك بسيارته لتخرجي ... هو أمام العمارة من ساعة أو أكثر ألا تظنين أن الأمر قد يزعجه؟***

هنى: ***-لن يزعجه انتظاري***

الأم: ***-تعبت، أنت الآن كبيرة افعلي ما يحلو لك***

تغادر الأم وهي منزعجة وهي تقول:

- ربي يهديك

يرن هاتف هنى تأخذه وتطل من النّافذة قبل أن تجيب ترى سليم من الأعلى واقفا مستندا على سيارته والهاتف على أذنه وهو رافع رأسه يحدق إليها.

تلوح له بيدها وهي تقول على الهاتف: -***آسفة حقا.***

سليم شاب وسيم في نفس عمر هنى مستند على سيارته الفخمة والهاتف على أذنه ينتظر قليلا ثم يقول: -***أسرعي قليلا وإلا ... انتظرتك ما عساي أفعل سوى الانتظار***

هنى: -***لن أتأخر***

سليم: -***مستحيل***.

هنى: -***لمَ؟***

سليم: -***ليس من عادتك أن لا تتأخري***

هنى: -***هذه إساءة حقيقية في حقي***

سليم: -***بل واقعك المجسد في حبك للتأخر وعدم الانضباط. والآن أسرعي وأنهي استعداداتك لن أمنحك أكثر من عشر دقائق.***

تسرع هنى وتغلق النافذة وتكمل استعداداتها للخروج مع سليم.

أوراق شجرة ضخمة ومن ثم نافذة ومن النافذة نستطيع أن نرى ليلى جالسة والمسؤول يتحدث معها

المسؤول: ***-لمَ ضابط ولمَ الإطفاء؟***

ليلى دون تردد: ***-حلم حياتي أن أكون ضابط في الإطفاء***

المسؤول مبتسما: ***-ما دمنا دخلنا في الأحلام فمن الصعب أن أطرح عليك أسئلة أخرى ... عليك توصية جامدة من الأعلى***

ليلى محرجة: ***-حقا... أ ...***

وقبل أن تكمل كلامها

يدخل رجل في الستينات من عمره

يقف المسؤول على عجل لتحيته وهو يقول: ***-مرحبا كولونيل***

تقف ليلى: ***-جدي أقصد كولونيل***

الجد مبتسما: ***-للجميع أنا كولونيل أما لك حفيدتي فأنا جدك... أصلا أعتبرك حفيدتي الوحيدة وابنتي الوحيدة أيضا.***

المسؤول: ***-هل تشرب شيئا حضرات***

الجد مبتسما: ***قهوة وللضابط عصير ليمون***

يسرع المسؤول لجلب الطلبات بنفسه وهو يقول: ***-شرف لنا أن يزورنا الكولونيل محمد نصير بنفسه في مكتبنا البسيط المتواضع.***

ما إن يرى الجد غياب المسؤول حتى يبدأ بممازحة ليلى على اعتبارها حفيدته ومرشحة مهمة لمركز مسؤول أول في المركز.

الساعة تشير إلى الثالثة بعد منتصف النهار، على ساعة حائطية عملاقة على حائط مبنى جديد البناء حين تمر قربه سيارة سليم وهي تخترق شارعا في العاصمة بسرعة متوسطة دون وجهة معينة أو محددة.

هنى على المقعد الأمامي تلعب في شعرها وتمضغ العلكة بنوع من الملل وهي تستمع إلى موسيقى كلاسيكية على الهاتف.

هنى: ***-اف اف***

سليم: ***-طلبتي أن لا نحظر المحاضرات المسائية وفعلنا لمَ أنت منزعجة لمْ أعد أفهم ما يجول في خاطرك أنت دائمة الإنزعاج و الإزعاج هذه الأيام.***

هنى: ***-لا أدري، أنا منزعجة دون سبب ... ماذا تقصد بالإزعاج هل أنا مزعجة لحبيب قلبي، ألم تعد تحبني يا سليم؟***

سليم: ***-هههههههههههههه أمازحك فقط أنت لا يمكنك أن تزعجيني لأني تعودت على ازعاجك منذ الصغر، وأنا غير قادر أن أعيش دونه حتى أني أتساءل أحيانا عمّا قد يحدث لي إن قضيت يوما دون ازعاجك... أحبك وأحب ازعاجك وجنونك وكل شيء فيك.***

هنى: ***-أحبك يا سليم مع أني أحمل لك اليوم في قلبي قليلا من الضغينة جراء عدم مساعدتك لي لإقناع ليلى بعدم توقيع العقد، أنت حتى لم تأتِ إلى منزلنا أمس كما اتفقنا لمحاورة أختي ولم تحاول الاتصال.***

سليم: ***-كنت متعبا ومريضا***

هنى: ***-سلامتك حبيبي لمَ لمْ تخبرني، لو علمت لأتيتك فورا.***

سليم: ***-لا عليك هنى لم أرد ازعاجك***

يوقف سيارته أمام مطعم فخم وينزلان

يأخذ سليم يد هنى ويسحبها إلى الداخل وهو يقول:

-أعلم ما سيغير مزاجك، أكل لذيذ في مطعم فخم

- أعرف جيدا حبيبتي ومزاجها وما يمكن أن يرضيها.

تبتسم هنى وهي تقول: ***-أحب أفكارك وجنونك.***

تخرج ليلى مع جدها من المكتب بعد انتهاء مقابلة العمل متجهة نحو باب الخروج، تركز حين وصولهما إلى ساحة المركز على ثلاثة من رجال الإطفاء المسرعين لركوب شاحنة لأداء مهمة، وبعد ركوبهم وخروجهم تلاحظ أن جدها أمامها بالعديد من الخطوات فتسرع لإدراكه.

وهما يتمشيان كلما مر أحد العناصر قربهم حيَّى الجد بهيبة ووقار.

الجد: ***-أريدكِ رجلا***

ليلى: ***-هههههه تريد أن أكون رجلا؟ وهل هذا معقول جدي ... كيف أكون الاثنين معا امرأة ولكن رجلا***

الجد: ***-تفهمين قصدي***

ليلى: ***-سأبذل قصار جهدي لأكون في المستوى كولونيل***

الجد: ***-ستكونين في المستوى... من أجل جدك ولأنك حفيدة جدك***

تقاطعه ليلى: ***-أتمنى... اتمنى ذلك.***

الجد: ***-خائفة أنت؟***

ليلى: ***-ربما أو نوعا ما.***

الجد: ***-أنت حفيدة بطل وعليك أن تكوني في المستوى***

وقبل أن يركب الجد في سيارته يسرع المسؤول الذي أجرى لها مقابلة العمل والذي لحق بهما لتوه بفتح سيارة الجد.

يجلس الجد في المقعد ويغلق المسؤول الباب ويدير السائق السيارة.

المسؤول بعد أن يرى السيارة خارجة يستدير إلى ليلى ويقول: ***-محظوظة بجد مثله ... ليته جدي أدفع عمري ليكون جدي بطلا مثله***.

لا تجد ليلى إجابة لهذا تقول وداعا.

وتخرج وهي منزعجة.

الكل لا يتوقف عن الحديث عن جدها سواء في المنزل أو في الحماية المدنية.

في المنزل بالسوء لأن الكل يكره الجد وينتقد قراره بالسماح لخديجة المشاركة في عملية الإنقاذ التي أودت بحياتها.

تعرف ليلى أن الجد لم يكن المشرف على عملية الإنقاذ لهذا فهي الوحيدة التي لا تلومه في عائلة والدها.

في الحماية المدنية الكل يمدح الجد لبطولاته وأمجاده الكثيرة.

الآراء متباينة مع هذا على أمر الواقع لا أحد ينكر عظيم انجازات الجد في عمله.

في المطعم الفخم الذي ارتاده سليم وهنى الساعة تشير إلى الثالثة والنصف تماما.

موسيقى هادئة تعزفها فتاة جميلة وأنيقة على كمان على مسرح المطعم، وليس بعيدا عنها طاولة حولها رجل مع ابنه وزوجته، يأكلون وخلفهما طاولة مملوءة وحولها هنى وسليم يبتسمان وهما يأكلان ويتحدثان.

هنى: ***-تحبني لن تتخلى عني مهما حدث؟***

سليم: ***-الأمر يتعلق بك وبما سيحدث.***

هنى: ***-ماذا تقصد؟***

سليم: ***-المرأة الصالحة هي من تطيع زوجها وتظهر له حبها وصدقها له ولو بالتخلي على جزء من أحلامها كعربون محبة له.***

هنى: ***-تقصد أختي.***

سليم: ***-من غيرها؟***

هنى: ***-هل مراد منزعج منها؟ تعرف أصبحت أخجل حتى من المجيء إلى منزلكم بسبب تصرفات أختي الطفولية من***

جهة تقول لك مراد هو حياتي ولا أستطيع العيش دونه ومن جهة ترفض الأخذ برأيه.

سليم: ***-وكيف لا ينزعج؟ تعرفين أن مراد عنده حساسية من الخدمة في الحماية المدنية منذ موت العمة رحمة الله عليها، لقد كان يحبها ويعتبرها أختنا لا عمتنا. موتها بسبب بذلة الحماية المدنية جعله يكره هذا العمل والعمل الإنساني الذي فيه يضحي المرء بنفسه من أجل غيره.***

أختك تؤذي أخي متعمدة تدوس على جرحه دون أن تهتم.

هي تراه يحترق حبا فيها ولا تقبل أن تقدم له في المقابل القليل.

بإمكانها العمل كمهندسة حتى أن والدي وعدها أن يفتح لها شركة للعمار إن تخلت عن حلمها في العمل كضابط في الحماية المدنية.

ماذا تريد لا أفهم؟

أو ربما لا تحب أخي بصدق وهو من يحبها فقط كما يقولون حب من طرف واحد.

هنى: ***-لا هي تحبه ولكنها مجنونة لقد جننها جدي، أقصد جدها هو من لعب بدماغها تعبت من اقناعها ولم تقتنع.***

أرجوك لا تؤاخذني بذنبها فتكرهني وتهجرني...

سليم: ***-أنت قلبي هل يمكن لجسدي العيش بدون قلب؟***

هنى: ***-هههه حقا طمأنتني كنت خائفة من أن تتخلى عني بسبب تصرفات أختي المجنونة.***

سليم: ***-أحبك ولن أتخلى عنك بسبب ليلى، الذنب ذنبها وليس ذنبك... لهذا تأكدي أنّي أحبك ولن أتخلى عنك.***

هنى: ***-أنا أيضا***

سليم: ***-أنت ماذا ... هل أصبح الجميل خجولا... هههه ... ألا تريدين أن تقولي لي أحبك هل الأمر صعب أم ماذا.***

هنى: ***-أنت كل الدنيا***

سليم: ***-ماذا تريدين مقابل هذه الجملة الرائعة التي تلاعبت بكل كياني وروحي... أنت كل الدنيا***

هنى: ***-عمي سيمقتني والفضل يعود لتبذيرك للكثير من المال في سبيل اقتناء الهدايا لي ... ما يهمني أنت والمال يأتي ويذهب لا أريد هدية أريد حبك فقط.***

سليم: ***-والدي يحبك كثيرا وهو من طلب مني تلبية كل طلباتك.***

يصمت ويقول بحزن: ***-ويحب ليلى كثيرا***

هنى: ***-هو من أعطاها هذا الاسم الذي تحمله ليلى***

سليم: ***-ليتها تقدر حب أهلي لها فتطيع مراد لتسعد قلبه فنسعد كلنا... شقاء مراد يجعلنا تعساء في المنزل حقا.***

هنى: ***-حتما سينزعج عمي كثيرا لو انفصلا.***

سليم و هو يمسك برأسه: ***-ماذا يجول في عقل أختك.***

هنى: ***-منذ أن غدت الحفيدة المفضلة للجد، لم يعد شيء يجول في عقلها، لأنه وحسب تقديري لا عقل لها، فجدي غدى عقلها الذي يفكر مكانها ويقرر حتى بالنسبة للخطوات التي لابد أن تقوم بها في حياتها الفارغة من كل شيء إلا من جدها.***

سليم: ***-لا أفهم سر حبها الكبير للجد وخاصة أنها على دراية بما وقع لخديجة بسببه. هو من أقنع خديجة أن تترك دراسة الطب وتلتحق بالحماية المدنية لتموت محروقة.***

هنى: ***-مع أنها أختي إلا أني أتمنى أحيانا ألا أراها وألا أحدثها ولا أعرف شيئا عنها وعمّا تخطط له مع جدها، ذلك الذي يقولون عنه البطل وكأنه أنقذ البشرية جمعاء هو لم يقم إلا بواجبه المهني أو بما يطلبه منه مضمون عمله.***

سليم: ***-دعينا من أختك ومن أخي ولنستمتع بوقتنا، هما أكبر منا وأعلم منا بالطريقة التي لا بد لهما أن يتبنيانها للوصول إلى الحل الذي يرضي كل الأطراف.***

ليس بعيدا عن مركز الإطفاء، ليلى قرب سيارتها ويدها على الباب لفتحه واليد الاخرى تحمل الهاتف

ليلى: ***-حسنا أنا آتية ... لم أقدر أن أرد على الاتصال لأنني كنت في مقابلة عمل، أخبرتك بهذا مسبقا... كنت أعلم أنك ستطلب رؤيتي ... حسنا سأكون عندك بعد نصف ساعة.***

تدخل سيارتها على عجل، تقود بسرعة وهي قلقة ومن حين إلى آخر تقول: ***-يا رب أستر وهي تنظر من النافذة المطلة على البحر.***

تصل إلى المطعم وتوقف السيارة، تنزل وتغلق الباب، وتستدير وتفتح الباب الأمامي وتأخذ حقيبتها وتتوجه إلى المطعم وهي تجري.

داخل المطعم مراد جالس وقربه كأس مملوء بالعصير على الطاولة، يظهر أنه لم يأخذ منه ولو جرعة واحدة.

تدخل ليلى وتبحث عن مراد بعينيها.

يلوح لها بيده.

تراه، تسرع إليه، تسلم عليه وتجلس وهي تقول: ***-ألن تعزمني على شيء؟***

لا يجيب مراد على كلامها وكأنه لم يسمعها.

بعد برهة يقول بحزن وهدوء: ***-وقعت العقد؟***

تصمت ليلى ولا تجيب

مراد: ***-لا إجابة يعني وقعتي...***

بعد صمت دام الأزل أو ربما ثانية أزلية.

مراد: ***-وقعت على النهاية.***

ليلى: ***-النهاية! هل عنيت ما قلته لي بأنك ستنهي كل شيء إن أنا وقعت العقد؟ هل حبنا بسيط لهذا الحد أن ينتهي بسبب توقيع؟ اعتقدتك تمزح؟***

مراد: ***-هل في هذا الأمر مزاح؟***

ليلى والدمع يخنقها: ***-ماذا عن حبنا؟ هل هو مجرد قول؟ ألم تكن تقول أنّني حياتك ولن تستطيع العيش دوني.***

مراد: ***من يحب يضحي، وأنت لم تقبلي أن تضحي من أجلي، من أجل الحب الكبير الذي أكنه لك منذ أن كنت طفلا.***

ليلى: ***-لمَ عليّ أنا أن أضحي، لمَ أنا، لمَ أنا؟***

مراد: ***-لأني طلبت ذلك ... لأني أردت منك عربون حبك لي، واخترت أن يكون التخلي عمّا تتصورينه حلم حياتك عربونا لحبنا.***

يمرر يده في شعره الحريري الأسود اللامع.

مراد: ***-لا أريد الزواج بضابط في الحماية المدنية، في العمل الذي أفقد عمتي حياتها، أنت تفهمين ما أعنيه، لأنك رأيت جثتها جيدا ليلتها.***

ليلى: ***-هو حلمي من أجلها من أجل أن أحقق ما لم تحققه، أو ربما هو من أجل تلك الليلة وما رأيته فيها.***

مراد: ***-أنا أيضا حلمكِ، هكذا قلت لي دوما.***

ليلى: ***-ألا يحق لي الحصول على حلمين، ألا يحق للمرء أن تتعدد أحلامه وأمانيه.***

مراد: ***-لا ... وأعتقد أنكِ اخترتِ أحب شيء إليك، وعلى الحلم الثاني الانسحاب والاختفاء من حياتك إلى الأبد.***

يقف مراد ليغادر.

ليلى: ***-لكنني أحبك، أنت حياتي والحماية المدنية حلم قلبي وعقلي.***

وهو يأخذ معطفه من على الكرسي: ***-وأنا أحـ...***

ليلى: ***-أرجوك مراد، أحبك أكثر من نفسي ولن أعيش دونك...***

يقاطعها مراد: ***-هل أنت متأكدة من حبك لي؟***

ليلى: ***-أرجوك مراد فكر جيدا الأمر فيه حياتي وحياتك.***

مراد: ***-فكرت طويلا ومطولا.***

يغادر تأخذ ليلى كاس الماء لتشرب فيقع وينكسر وتبدأ بالبكاء على مرأى من الموجودين في المطعم المحدقين بها.

يسرع مراد إلى سيارته المركونة قرب المطعم.

وهو داخل سيارته يأخذ رأسه بين يديه وهو يقول بصوت خافت وحزين: ***-ماذا فعلت بنفسي ... ماذا فعلت بنفسي ... ماذا فعلت بابنة عمي ... يا رب***

يشغّل سيارته ويغادر على عجل.

تظل ليلى مطولا على رصيف قرب البحر جالسة على كرسي حجري، تبكي بشدة والمحفظة على حجرها تسمع من حين إلى حين الهاتف يرن ويتراقص داخل المحفظة لكنها لا تأخذه.

الساعة تشير إلى العاشرة ليلا في الساعة الحائطية المعلقة على جدار في صالون منزل ليلى.

هنى واقفة تتصل بأحدهم وهي غاضبة، بعد وهلة تقفل وتستدير فترى الأم والأب جالسين منكمشين على نفسيهما، والجد في وسط الصالون جالس بهيبة. رجل على رجل وسيجارة من النوع الفاخر في فمه وتقول: ***-لا تجيب للمرة الألف، إنها لا تجيب، ماذا وقع لها؟، أم تريد أن تجلطنا؟ يا إلهي صبرنا على ما تفعله بنا أختي.***

لقد فقدت أختي عقلها كليا، حسبنا الله ونعم الوكيل في من كان السبب، وفي من أوصلنا إلى هذا الحال المأساوي بسبب أنانيته وحبه لذاته وعدم تفكيره بالعواقب المترتبة عن أفعاله المجردة من الإنسانية.

تقصد بقولها هذا جدها، ولم يخف الأمر عنه، فقد فهم جيدا كلامها وما ترمي إليه، فرمقها بنظرة غضب وازدراء.

الأم بخوف: ***-يارب أستر، يا رب ألطف بنا، يا رب لا تجعل بلائي في أحد من بناتي، يا رب ل أملك إلاّ هاتين الابنتين فاحفظهما لي ربي.***

يضع الجد سيجارته في منفضة السجائر ويقول بنوع من الثقة: ***-بعد أن افترقت معه، سيلطف الله بنا ويكرمنا أيضا ويفتح لنا أبواب الرزق.***

بعد أن تجلس هنى على الأريكة تجاوب الجد بغضب: - ***وهل حجب مراد كرم الله عنا يوما؟***

الأم: -***أصمتي.***

الجد وهو يبتسم: -***دعيها تتحدث ويوما ما سأقطع لسانها الحاد***

هنى بغضب: -***أف...***

يأخذ الجد سيجارته من منفضة السجائر ويقول: -***من أوصل لكم الخبر السار.***

تتبادل نظرات الحيرة بين الأب والأم

تفهم هنى أن والديها لم يفهما السؤال...

فتقول بتهكم: -***جدي يقصد انفصال ليلى عن مراد، فجدي يعتبر الخراب والانفصال ... الخ أخبارا سارة كعادته، أليس كولونيل، لولا هذه الأخبار السارة لما أصبح كولونيل.***

تقرص الأم ابنتها من يدها على مرأى من الجد لتصمت وتقول: -***سيطلقك سليم قبل يوم السبوع والفضل للسانك.***

هنى: -***يطلقني هههههههه من قال هذا؟***

يحل الصمت لبرهة.

الأب: ***-مراد من اتصل ليطلب مني السماح لأنه انفصل عن ابنتي... ابنة عمه***

الجد بسخرية: ***-حقا فيه الخير***

هنى: ***-فيه أو ليس فيه، لقد انفصل عنها ونحن لا ندري أين أختي.***

الجد بسخرية: ***-أينما كانت فهي محظوظة.***

هنى: ***-محظوظة بخراب زواجها؟***

الجد: ***-أنتِ أصغر من أن تفهمي الأمر.***

هنى: ***-أنت محق فالمصابون بالشيخوخة والزهايمر هم من يفهمون هذا النوع من الأمور، أما الناس العاديون مثلي فلا يفهمونها.***

لا يعير الجد كلام هنى اهتماما ويقول: ***-لا أفهم سر قلقكم ... ليلى رزينة وعاقلة ولن يقع عليها أي شيء.***

هنى: ***-أصبحت أشك في أمر عقلها من اليوم الذي أصبحت فيه مطيعة لك وتأخذ برأيك قبل رأي والدي ورأي نفسها.***

تضع هنى يدها على رأسها ومن بعدها تغلق عينيها وكأنها لا تريد أن ترى الجد.

الأم: ***-يا رب ...يا رب...***

الأب: ***-لا تقلقي يا أمل، لن يقع لابنتنا أي مكروه بإذن الله ... اهدئي.***

الأم: ***-أحس أن قلبي سينفجر من الخوف***.

الأب: ***-هوني عليك ...***

الأم: ***-إنها ابنتي ... ابنتي يا رب...***

تقف الأم وتبدأ في الذهاب والإياب في الصالون على مرأى من الثلاثة.

على بعد بضعة كيلومترات من منزل ليلى، منزل أهل مراد، في الطابق الأرضي صالون الأكل الفخم، الأب والأم ومراد وسليم حول الطاولة. الكل يأكل باستثناء مراد الذي يظهر شاردا ويحرك الأكل بالشوكة دون أن يأكل.

الأب: ***-لا أفهم لمَ تأخرنا كل هذا التأخر في الجلوس للعشاء، تعلمون أنه من المستحب الأكل باكرا والنوم باكرا أيضا.***

سليم: ***-مراد من تأخر بسبب شغل كان لا بد أن يقضيه اليوم قبل الدخول، وفضلنا انتظاره كي نجتمع جميعا ونتعشى معا.***

يظهر على الأم الانزعاج وعدم تصديقها لكلام سليم.

الأم وهي تأكل بافتخار وتكبر كالمعتاد:

-انفصلت عنها ؟ !... كنت أدرك وصولنا إلى هذا الطريق المسدود منذ زمن طويل، منذ أن أصبحت تصغي لجدها أكثر مما تصغي لك، على اعتبارك خطيبها وابن عمها وكل الفضل بالطبع يعود إلى جدها. هو من خرب نمط حياتها وأتلفه كليا وأفسدها وأنشأها النشأة السيئة، لترث فكره القيادي التحرري، لا تلم نفسك، الزواج لا يهمها كثيرا بقدر ما يهمها إرضاء الجد المحبوب.

هي لم تعد تصلح زوجا لأحد، ولا أحد سيرضى بها إلا من كان يشارك الجد في فكره ونمط حياته وأنانيته وتعجرفه.

يقاطعها سليم: ***-هم كثر من يحبون الريادة والقيادة كالجد.***

لا تعير الأم أهمية لكلام سليم وكأنها لم تسمع قوله.

تقطع اللحم بالسكين وتضع قطعة في فمها وتكمل: ***-أفهم اليوم لمَ ابنته الأخرى حنان هربت للخارج وتزوجت من أجنبي، لأنه متغطرس يحب أن يسير الكل كالجيش، والأمر مرهق، ومن ثم حقا زوجة عمكم أمل محقة في رفضها الانتقال والعيش في منزله، فالمنزل المسير كالجيش سجن***

فعلي ... رجل متعصب ومتلاعب ولا يحب سوى من يطيعه، رؤيته فقط تثير الأعصاب.

مراد: ***-أمي أرجوكِ، فلنتوقف عن الحديث عنه، نحن دائما نخوض في سيرته وكأنه لا أحد في الكون سواه.***

الأم: ***-كل مشاكلنا منه ولهذا نحن نتحدث عنه دائما هو بمثابة مرض خبيث ينخر في اللحم ليصل إلى العظام.***

الأب: ***-أمك محقة شخصيا لا أستطيع أن أنسى أنه السبب وراء موت خديجة، كانت أختي بارة مطيعة، توليت رعايتها بعد موت والدنا، حالها حال أخي منصور، كانت أصغرنا، خنت أمانة أبي... قلبي يشتعل نارا كلما تذكرت ذلك.***

سليم وهو ينظر إلى مراد: ***-ماذا عن عمي منصور، أتمنى أن يكون بخير بعد ما وقع، تعلم هو مصاب بمرض الضغط...***

مراد: ***-اتصلت به لـ....***

الوالد: ***-بمَ أجاب...***

مراد: ***-ربي يهديكم ويبقي الستر***

سليم: ***-سي جلال يحب أخاه كثيرا وخائف عليه***

الأب: ***-ألا تحب أخاك مراد؟ هو أخي الوحيد وقد أوصتني أمي الله يرحمها به وبخديجة ضيعت خديجة ولن أضيع منصور.***

الأم: ***-حسبنا الله ونعم الوكيل في من كان سبب مشاكلنا.***

يبتسم سليم لأخيه وهو يقول: ***-أخي كل واطمئن، كل شيء سيكون بخير، المسألة مسألة وقت وسترى أني محق وأن كل شيء سيتصلح.***

الساعة تشير إلى الحادية عشرة ونصف وليلى دائما لا تجيب على الهاتف.

يزداد التوتر وتبدأ الأم في البكاء.

يحاول الأب الاتصال بليلى للمرة الألف ولكن دون جدوى.

الجد واقف بوقار يحاول الاتصال بأحد القادة في الجيش لطلب المساعدة.

في هذا الوقت هنى تطل من النافذة آملة ظهور سيارة ليلى في الأفق.

الأم: ***-أيمكن أن يكون أحدهم قد خطفها.***

الأب: ***-ما هذه الأفكار؟***

الأم: ***-لا أفهم ما هذه الأفكار التي تدور في عقلي أحس أنني أختنق.***

الأب: ***-استغفري الله.***

الأم: ***-استغفر الله.***

الجد بعد أن توقف عن الحديث في الهاتف وأعاده إلى جيب معطفه الأنيق: ***-ومن هذا الذي ستسول له نفسه أن يخطف حفيدة الكولونيل محمد ناصير.***

تستدير هنى وتعود للجلوس في مكانها وبسخرية صارخة: ***-من لا يحبون الكولونيل محمد ناصر وأحسبهم كثرا.***

الأم: ***-نحن نتحدث عن أختك ألا تتوقفين عن معاندة جدك حتى في هذه الظروف؟ يا إلهي، ماذا فعلتُ كي أستحق كل هذا.***

الجد: ***-أثق بأنه لن يحدث أي سوء.***

يصمت ثم يكمل: ***-إنها حفيدتي وأنا أثق بها جدا.***

تتأفف هنى من كلام جدها، لكنها لا تتجرأ على قول أي شيء خشية أن تثور أمها في وجهها، وهي التي كانت ترى أمها على أعصابها.

يخلو سليم بعد العشاء إلى غرفته ويبقى مستلقيا على سريره يلعب على الهاتف.

سرعان ما يرن هاتفه فيجيب دون أي تأخر أو تردد.

يتحدث على الهاتف ويبدأ في البحث عن مفاتيح السيارة على عجل: ***-حسنا أنا آت فورا...حبيبتي اهدئي ... لا تخافي اه اه أنا أسمعك جيدا ...أفهم الأمر وما تتحدثين عنه... ولكنها قد تكون عند صديقتها زينب... اتصلت بها وقالت لا...***

ولمَ لمْ تتصلي بي قبل هذا...

لم تريدي ازعاجي؟ ! أنت ابنة عمي وخطيبتي، وأنت مسؤولة مني، وهذا واجبي ... على كلٍ لن أتأخر، مسافة الطريق وسأكون عندكم...

يجد المفاتيح، يأخذ معطفه ويسرع بفتح الباب للخروج:

-حسنا أنا سآتي على الفور... أخبرتك أنا آت مسافة الطريق...هنى لمَ البكاء...أنا متأكد من أنها بخير....

أنت تجعلين الأمر أكثر تعقيدا...

بكاؤك لن يحل المشكلة...

ينزل سليم الدرج جريا وهو يحاول لبس معطفه، وحين يصل إلى الصالون يرى مراد بملابس نوم فاخرة جالس يشاهد التلفاز ويلاحظ أنه غير مركز تماما على التلفاز.

يقف مراد مرتعدا عند رؤية أخيه على عجلة من أمره للخروج من المنزل، في هذا الوقت المتأخر من الليل: -***ماذا هناك؟***

سليم: -***إنه منتصف الليل وليلى لم تدخل إلى الدار ولا تجيب على الهاتف وهنى... وهنى أنا ذاهب إلى دار عمي ...***

مراد: -***انتظرني أغير ملابسي وآت معك***

سليم: -***لا سأذهب فورا وإلحق بي بسيارتك لاحقا... أخي أنا آسف عليّ الذهاب، هنى بحاجة إليّ هي قلقة جدا على أختها.***

مراد: -***ألا تستطيع أن تنتظر بضع ثوان***

سليم: -***هنى منهارة تماما***

مراد: -***حسنا عليك أن تسرع إذا، وسألحق بك بسرعة***

سليم وهو يعانق أخاه: -***شكرا على تفهمك للأمر***

يخرج سليم مسرعا ويصعد مراد الدرج جريا لتغيير ملابسه.

ليس بعيدا عن المنزل، ليلى جالسة في سيارتها تستمع لأنفاسها المتعبة المرهقة من البكاء.

كل ما بكته لم يخفف عنها جزء ممّا تحس من قهر، تكاد تنهي ما في جسدها من الماء والحزن لا يذهب عنها، لا تعي ما لا بد عليها أن تقوم به ليخف عنها ألم الحزن.

كل الدموع لا تروي قلبها المحطم.

خلق مراد في فؤادها ثقبا لن يملأه شيء حسب تصورها.

تود الذهاب إلى المنزل، لكنها لا تقدر، لا تريد أن ترى أحدا.

الكل متواطئ عليها.

الكل في صف مراد، لا أحد نهره ووقف معها.

لم يطلب أحد من مراد أن يتنازل هو ويقبل بالعمل الذي اختارته.

ظلمها، ومع هذا الكل سانده في ظلمه لها حتى شقيقتها وقفت في صف مراد ولم تعر أهمية لصلة الأخوة التي تجمعهما.

تشد على قلبها وهي تقول: ***-أكاد أموت حزنا عليك.***

فراقك يا مراد يقتلني.

يا رب امنحني القوة لا تجعلني أظهر ضعفي وانهزامي به.

يا رب لا أريد أن أبكي أمامه أو أمام العائلة، أريد أن أكون صامدة أمام الجميع، مع أني ألتهب من الداخل.

تمسك ليلى بقلبها بقوة وتتنهد وهي تقول: ***-سأصبر صبرا جميلا، سأصبر صبر يعقوب ولن أشكي همي إلا للخالق.***

تشغل نشيد "يا من يرى" للمنشد أحمد بوخاطر، نشيدها المفضل الذي لطالما أصغت إليه في أيامها الجميلة والصعبة

" يا من يرى

يا من يرى مد البعوض جناحها

في ظلمة الليل البهي الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها

والمخ من تلك العظام النُّحَّل

ويرى خرير الدم في أوداجها

متنقلاً من مفصل في مفصل

أمنن عليّ بتوبة تمحو بها

ما كان مني في الزمان الأول

ويرى وصول غِذا الجنين ببطنها

في ظلمة الأحشاء بغير تنقل

ويرى مكان الوطء من أقدامها

في سيرها وحثيثها المستعجل

ويرى ويسمع حس ما هو دونها

في قاع بحر مظلم متهول

أمنن عليّ بتوبة تمحو بها

ما كان مني في الزمان الأول"

تشغل سيارتها وتتجه إلى المنزل وهي تعيد كلمات النشيد، حيث يقول يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهي الأليل.

فقد غدت حياتها ليلا من بعد خروج مراد منها.

إحساس الخوف دخل إلى قلبها والله يرى كل هذا، فهو يرى كل شيء، يرى وصول الغذاء إلى الجنين ببطن أمه في ظلمة الأحشاء بغير تنقل، ويرى حزنها الذي تتمنى أن يزول بسرعة.

يسمع دق على الباب، تسرع هنى بالفتح، ترى سليم واقفا أمامها يلهث جراء الركض، يدخل سليم وهو يقول: ***-ألم تعد ليلى بعد***

هنى: ***-ليس بعد...***

يحيي سليم الجميع ويجلس

بعد صمت مطول يقول سليم: ***-ليلى عاقلة وقوية ولن تقدم على خطأ***

الجد بسخرية وتكبر: ***-كانت عاقلة قبل أن يعمى على قلبها وتخالط وتعاشر الذي لا يسمى... نسيت اسمه... أخاك، الذي يعمل أو ربما لا يعمل، الأمر لا يهمني، وهو لا يهمني من أصله وحين تعود حفيدتي سيرى ما أستطيع فعله... فلكل مقام مقال...***

ينظر سليم إلى هنى بانزعاج وكأنه يطلب منها إسكات الجد الذي اعتاد إيذاءه بالكلام الجارح كلما اِلتقيا في هذا المنزل.

هنى: ***-نسيت اسمه اه ... لا ألومك و إني لا ألوم في الأمر إلا مرض الايزيمر يا جدي ... إنه الايزيمر .....يا جدي إن هذا المرض يجعلك تنسى المهم والأهم منه أنه مرض***

فتاك، وأتمنى أن يفتك ببعض الناس لينسيهم عاداتهم السيئة وتكبرهم على الناس.

الجد: ***-ألن تتحكمي بلسانك يا ابنة أمل .... لسانك أطول من جزيرة العرب وأقوى من قنبلتي هيروشيما وناكازاكي، وإن واصلتِ على هذا المنوال اقتلعته من لغاليغه لأستريح من كلامك الكثير الذي يثير أعصابي على الدوام.***

الأم: ***-التي لم تدخل إلى البيت تكون أختك هل نسيت الأمر؟***

الجد: ***-ليلى حفيدتي ولن يضعفها أي أمر وخاصة إن كان الأمر تافها لا معنى له، مع الوقت ستفهم أن بعض الناس التخلص منهم ومفارقتهم لنا مكسب عظيم لنا.***

هنى: ***-الانفصال أمر تافه ... أمر عجيب ... ليت لي قلب مثل قلبك الحجري يا جدي فلا أهتم بالفواجع ولا أقلق على أمر ولا من أمر...***

دق على الباب

سليم: ***-أعتقد أن الطارق أخي***

الجد بسخرية وتكبر كالمعتاد: ***-وماذا يريد ... ولمَ سيأتي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟***

هنى بسخرية: ***-لأنه ابن أخي سي منصور...يعني ابن عمنا...***

تقف هنى: ***-سأفتح له...***

يدخل مراد ويكشر الجد ويعبس في وجهه ويلاحظ الكل هذا العبوس والغل الكبير الذي يحمله الجد لمراد.

يرحب به العم وهنى والأم.

يجلس مراد دون قول شيء

الجد بسخرية وتكبر: ***-يقتل القتيل بعدها لا يخجل من المشي في جنازته ... صدق من قال من استحوا ماتوا منذ زمن طويل... لم يعد للحياء وجود عجبا.***

ينزعج مراد لكنه يتمالك نفسه ويتحكم في أعصابه ولا يقول أي شيء.

الجد بسخرية وتكبر: ***-المقتول والحمد لله الشر... انفصال ميمون وزواج بإذن الله مع قائد في الإطفاء أو في الجيش الوطني عن قريب وليس الأمر بصعب علي...***

هنى بسخرية: ***-حقا...!***

في هذا الوقت تصل ليلى أمام العمارة.

تركن سيارتها وتنزل، ترفع رأسها إلى الطابق الرابع حيث منزلهم، وترى الأضواء كلها مشتعلة، تفهم أن الكل في انتظارها.

الأمر حقا متعب.

قد تتلقى توبيخا لكن الأمر غير مهم أمام ما تشعر به من حزن، قد يكون التوبيخ جيدا في حالتها هذه، قد ينسيها القليل مما فيها من الحزن.

تدخل العمارة بهدوء وبطء.

الجد دائما جالس على الأريكة بتكبر يقول: -***لا أفهم ماذا تفعل هنا؟...***

لا يجيب مراد...

الجد: -***هذه هي الحسنة الوحيدة التي فعلتها في حياتك، هكذا ستهتم بنفسها ومستقبلها بعد أن انفصلتما، أبواب كثيرة ستفتح لها.***

ترى هنى والدها منزعج من كلام الكولونيل ولكنه لا يقول أي شيء فلا أحد يقدر على مجابهته في الكلام والتعجرف

لا يجيب مراد دوما وكأنه تبنى الصمت.

الجد: ***-سأزوجها بقائد يساعدها على الصعود إلى المراكز القيادية في المجتمع، لا إلى النزول إلى الحضيض والمتاهات...***

هنى: ***-المهم أن تعود ... بعدها سنفكر في تزويجها بقائد أو جراح المهم عودتها سالمة***

تصل ليلى أمام شقتهم، ترفع يدها لتدق الباب، ثم ترجعها وتشد على قبضتها وتتنفس بعمق وتقول: ***-أنا قوية***

تصنع ابتسامة كاذبة وتأخذ من حقيبتها المفاتيح وتفتح الباب.

تفتح الباب وهي مبتسمة، تدخل وتتوجه إلى الصالون كونها تعرف أن الكل في انتظارها هناك ترى الكل جالسين قلقين عليها.

لم تتوقع وجود مراد هنا في هذا الوقت من الليل، ولم تكن تتمنى هذا، ما إن تقع عيناها عليه وتلتقي نظراتهما حتى تنفجر بالبكاء وتهرب إلى غرفتها.

تحاول هنى اللحاق بها ولكن الوالد يقول بصوت حزين متقطع: ***-هنى لا تلحقي بها أتركيها تستريح هي تحتاج لهذا البكاء.***

تتراجع هنى وتعود للجلوس

الجد: ***-الصعاب والمواقف الشديدة التي تمر بنا أو نمر بها في الحياة هي من تصنع الأشداء والرجال الذين سيصنعون القرارات في المجتمع.***

هنى: ***-أختي ليست رجلا بل امراة، فلا تقل الأشداء ولا تتحدث عن الرجال حين تتحدث عن أمر يتعلق بها، أنت من غيرت من منطقها وطريقة تفكيرها وجعلتها تهتم بالحماية المدنية أكثر من اهتمامها بحياتها الخاصة.***

لم يكفك ما فعلت بعمتي خديجة والآن أختي أدخلتها في المعمعة ولم تفكر في احتمالية موتها مثل خديجة...

ماذا لو ماتت في إحدى عمليات الإنقاذ؟

مراد ضائع في فكره غير قادر على قول أي شيء يحس بقلبه يتألم بشدة.

يركز سليم على أخيه وينسى الآخرين من حوله، ينظر إلى أخيه بحنان.

فهم أن أخاه ليس على ما يرام بعد أن رأى ليلى باكية. دائما حاول مراد حماية ليلى واليوم هو المسؤول عن بكائها وشقائها وكأن الأدوار انقلبت وتغيرت.

تدخل ليلى غرفتها وتستلقي على سريرها وتبكي بشدة، تصلها أصوات من في الصالون ولا تهتم بالأمر.

إنه موجود هنا، تتساءل في نفسها إن أتى ليتحقق من شقائها بما فعله بها.

لكن مراد ليس من هذا النوع الذي يفرح بشقاء الغير وخاصة أنه يحبها أو كان يحبها.

في الصالون، الجد دائما غاضب ثائر من تواجد سليم وأخيه في المنزل... جالس رجل على رجل على الأريكة والانزعاج باد على وجهه الشاحب.

الأم: ***-أضع الأكل لنأكل ما دمنا اطمأنّنا عليها***

الأب: ***-حسنا، أنتما مدعوان مراد ... سليم***

هنى: ***-بالطبع...***

الجد: ***-الوقت متأخر عليهما الذهاب ... أليس كذلك***

ثورة الجد لا تهدأ ولا تركن من ناحية الاثنين، كرهه لهما شديد والأمر بدون سبب هكذا كان الأمر دوما ولا شيء يتغير.

يهم مراد بالرحيل ويلحق به سليم وهو يقول: ***-ليلة سعيدة***

يخرج الاثنين على صوت عمهما الذي يلح عليهما بالبقاء دون جدوى.

وبالطبع تغضب هنى جدا على ما وقع من جدها في حق ابني عمها الغاليين ولا تسكت عن الأمر ولهذا تقول: ***-ماذا عنك جدي؟***

الجد: ***-سأنام هنا***

هنى: ***-لدينا*** F4 ***وليس قصرا***

الجد: ***-اصمتي يا صاحبة اللسان الطويل، أتحبين أولاد عمك لدرجة أنك مستعدة لمواجهتي بكلامك السيء في كل لحظة؟ ! ..***

هنى: ***-هم أولاد عمي وسليم خطيبي...***

الجد: ***-دعك منه، سأزوجك بأحد القادة في الجيش البحري، ما رأيك بابن صديقي كريم، تعرفين ابنه وليد ما رأيك به شاب متعلم وضابط في البحرية.***

هنى: ***-لست ليلى، والجيش والحماية المدنية ليسوا لي ولست لهم، أقنعت ليلى وهذا يكفي، أم تريد أن تدخل الكل في الجيش.***

يتركها الجد ويدخل إلى المطبخ دون أن يعيرها أهمية.

تستلقي هنى على الأريكة وتتنهد.

لم تتصور أن هذا اليوم سينتهي اعتقدت أنه سيدوم الدهر كله.

مضى الوقت مسرعا.

ثلاث سنوات مضت على انفصال ليلى عن مراد.

لم تكن تتصور يومها أنها ستستطيع التعايش مع هذا الانفصال، لكن الله ساعدها وتجاوزت المحنة نوعا ما، وأعانها في الأمر انشغالها الدائم في العمل.

العمل غدا جل حياتها.

لم تكن تستريح حتى في أيام العطلة، فقد كانت تفضل العمل في عطلتها للحصول على ترقيات.

مع أنها تعمل كثيرا وبجدية، إلا أن الإشاعات كانت تلاحق ليلى بخصوص رتبتها، وقد كانت على اطلاع كلي بالأمر.

الكل غير راضٍ بترقيتها إلى رتبة قائد بهذه السرعة.

فلا يمكن لأحد أن يصبح قائدا في ثلاثة أعوام فقط من بعد تعيينه برتبة ضابط.

تفوق ليلى لم يشفع لها.

عبقريتها أيضا لم تساعدها على إيقاف الإشاعات المتداولة في المركز وخارجه.

تدخل ليلى المركز بعد مهمة في الجنوب، تتوجه إلى مكتبها بين الممرات وعلى يمينها صديقة عمرها زينب، يحييها الكل وتمر بهيبة.

تسمع وشوشة بعض العناصر، لكنها لا تعير الأمر أهمية، فقد اعتادت على الأمر وأصبح جزء من حياتها اليومية.

هذا مثال عن الحوار الذي جرى بين عناصر الحماية المدنية اليوم في الممر المؤدي إلى مكتب ليلى:

حميد: ***-اه قائد بعد ثلاثة أعوام هههه المعرفة وماذا تفعل ...***

ملك: ***-وكأنها شاركت في الحرب العالمية الثانية***

وليد: ***-المشاركة لا تكفي للحصول على رتبة قائد هههههههههههه أكملي وأنقذت الكل فرقيت في ثلاثة أعوام إلى رتبة قائد***

حميدة: ***-لم يحدث هذا في تاريخ الحماية المدنية كله***

حميدة: ***-جدها الكولونيل محمد ناصير***

بعد مرور ليلى يخفض الكل من صوتهم بعدها يستطرد حميد: ***-اه يا لها من جميلة ... اه حقا كيف تخلى عنها خطيبها ... أهو مجنون أم ماذا ... اه لو تقبل بي، سأخدمها طوال العمر دون ملل.***

لا أصدق أن أحدا يتخلى عن امرأة مثل هذه، إنها مجرد إشاعات، نحن في هذا المركز نحب الإشاعات ... نحب الإشاعات... الإشاعات الإشاعات ... لا يمكن أن يتخلى أي رجل عن امرأة مثلها.

حميدة: ***-ليس أي رجل، يقولون أنه ابن عمها، وعلى كل صرامتها قد تكون السبب، فهي عملية جدا والرجال لا يحبون هذا النوع من النساء.***

ملك: ***-محقة أنت، فمعظم الرجال يحبون المرأة التافهة التي تلهث وراء المال أو المرأة الصغيرة في العمر المدللة، التي لا تجيد شيئا في الحياة سوى قضاء جل وقتها متحدثة على الهاتف أو مشاهدة التلفاز...***

وليد: ***-أنتم بهذا تمدحون القائد ليلى بعد أن أشعنا أن الجد من منحها الرتبة التي وصلت إليها وأنها لا تستحق المنصب.***

حميدة: ***-لم أقل يوما أنها لا تستحق الرتبة، بل قلنا أنّ ما وصلت إليه يتطلب وقتا أطول.***

عبقرية ليلى لا ينكرها أحد، فهي تخطط جيدا قبل أي عملية إنقاذ تنفذ من طرف عناصر المركز، منذ وصولها انخفض عدد الإصابات في صفوف عناصر الحماية المدنية التابعة لمركزنا حتى أنه بلغ صفرا بالمائة مؤخرا رقم لم يسجله أي مركز قبلنا.

تستطرد وتقول: ***-وعلينا ألّا ننسى تحسن الظروف داخل المركز، والفضل يعود إلى مصداقيتها، فهي ليست كمن سبقها من القادة نصف للجيب ونصف للمركز.***

هي لا تسرق ولا تحب الرشوة.

هي صادقة مع نفسها ومع الغير.

تصمت حميدة وتقول ملك: ***-كل ما قلتيه حقيقة ولا أحد ينكر ما لها من فضل علينا وعلى عناصر المركز، ولكني أرى أن الأمر مبالغ فيه، الحصول على درجة قائد في ثلاث سنوات أمر لا يقبله أي منطق.***

وليد: ***-ربما، ولكن هناك منطق يسمى منطق الجد الكولونيل محمد ناصر وهذا المنطق يقبل بهذه الأشياء... علينا العمل وإلا طردنا فنحن لا نملك جدا برتبة الكولونيل***

محمد ناصير، البطل الذي شارك في عمليات إنقاذ على مستوى العالم وجعلت منه بطلا وطنيا.

الكل يضحك بسخرية بعد هذا يتوجهون إلى مراكز عملهم.

تدخل ليلى إلى مكتبها برفقة زينب صديقة عمرها ومساعدتها.

تجلس ليلى على مكتبها وتبقى زينب واقفة وفي يدها ملف أصفر يحمل معلومات عن ميزانية المركز.

ليلى: ***-أنا متعبة جدا، ثلاثة أعوام دون عطلة أسبوعية، لا أعتقد أني سأستطيع مراجعة واستبيان معلومات الملف اليوم ... جدي يريد قتلي كلما رأى مهمة أوكلني بها ...***

زينب: ***-الكل يتصور أنك رقيت بالمعرفة لا بالعمل الإضافي، لو كان الأمر متعلقا بشخص آخر لما فكروا هكذا، ولما شككوا في الأمر، مركز جدك يجعل الكل يعتقد أن المركز الذي بلغتيه أتى عن غير استحقاق.***

قد يكون مركز جدك نقطة ضعفك قبل أن يكون مصدر قوة لك.

ليلى: ***-أعلم بما يقال خلف ظهري والأمر لا يهمني كثيرا، الأمر لا يسمن ولا يغني من جوع لقد تعبت من الإشاعات***

تقف ليلى وتمسك زينب من كتفها: ***-لا يهمني ما يقولون، المهم أنك هنا وفي صفي، لا يهم أن يكون الكثير معي، ما يهمني هو المصداقية لا عدد من يكونون في صفي ... شكرا لك لأنك كنت دوما معي خاصة في أصعب مراحل حياتي.***

حين انفصل عني مراد كنت الوحيدة التي ساندتني حتى أختي لم تهتم بأمري، بل فضلت أن تمنح كل ولائها لمراد بصفته أخ سليم.

زينب: ***-التقيت به مؤخرا...***

يسود الصمت تتوجه ليلى إلى النافذة وتلاحق العناصر الذين كانوا يتدربون في الفناء بعيونها السوداء الواسعة...

بعد وقت قصير تدور ناحية زينب وتقول والدموع تسيل: ***-كيف حاله ...أهو بخير ... أهو سعيد... أهو مستمتع بحياته بعد أن مسح وجودي منها ... هل أصبحت حياته أجمل من دوني؟ هل أصبح لديه أحباب غيري...***

وقبل أن تكمل، تسرع إليها زينب وتحضنها وتقبلها وهي تقول: ***-سامحيني لأني ذكرتك به، لم أقصد إيجاعك فقط أردت إخبارك أني رأيته مؤخرا...***

ليلى: ***-أنا لم أنساه يوما كي أتذكره!، هل ينسى الإنسان قلبه وروحه وحبيبه؟..***

تبكي بشدة وتبتعد عن زينب وتقترب من النافذة لتطل منها وهي تبكي بحرقة، لا تفهم لمَ لا تستطيع أن تتجاوز كليا مشكل فراقها مع مراد الذي يعود إلى سنين الآن.

بعد صمت مطول تقول زينب: ***-مراد لم ينفصل عنك إلا خوفا عليك...خوفه عليك ومن أن تصابي بالأذى من جعله يبتعد عنك. فضل أن يفارقك طوعا على أن يفارقك مرغما، هو لن يصبر على مفارقتك بموتك لهذا اعتمد هذه الطريقة وكأنه يعود نفسه على شيء محتمل هو خائف منه ويسكنه منذ موت خديجة.***

مراد خائف مرتعد مع أنه شجاع قوي، هو لا يجرؤ على الإفصاح عن تأثره بما تأثرت به منذ زمن، موت خديجة محروقة جعله يحمل خوفا وكرها للحماية المدنية دون قصد منه، كلاكما ظالم ومظلوم بالنسبة أو من الطرف الاخر

أشياء كثيرة تغيرت داخلك وداخله منذ أن رأيتما جثة عمتكما، كلاكما تأثرتما وقررتما اعتمادا على ما شعرتما به ليلتها ما يجب أن يكون عليه مستقبلكما.

في حقيقة الأمر كلاكما تعملان على تحقيق نفس الهدف، مع أنه من الوهلة الأولى ومن الخارج يظهر وكأنه هناك اختلاف في وجهتكما، مع أنه لا يمكن اعتباره اختلافا حقيقيا

فهو اختلاف وهمي لا وجود له إلا في اذهاننا، أو بالأحرى من وجهتي نظركما، فأنت تسعين إلى تحقيق حلم ضيع عمتك وأرداها ضحية له.

ومراد يسعى إلى تحقيق حلم ضيعته عمتك في سبيل تحقيق الحلم الذي ماتت من أجله.

أفهم جيدا منطقكما، ومتعاطفة معكما الاثنين وأتمنى أن تتصالحا وتعود المياه إلى مجاريها، لكن تصالحكما لن يأتي إلا بعد أن يفهم كل واحد منكما أن ما تفعلانه لن يعيد العمة ولن يغير من أمر موتها محروقة بنصف جسد شيئا.

تتوقف ليلى عن البكاء وتستدير إلى زينب.

- تحليل جميل ومنطقي، اليوم أفهم سر مساندتك لي طوال هذه السنون الماضية، أنت تعرفينني جيدا وحتى أنك قادرة على رؤية ما في داخلي، أنت تفهمين لمَ أنا هنا وما أريد تحقيقه، عكس أختي التي لا تهتم إلا بنفسها، أصبحت تعتبرني كالغريبة، وتحاول عدم مناقشتي وكأنني ساعديها فيتغير منطق تفكيرها.

هي لا تعتبرني أختها بل المرأة التي قست وكسرت قلب أخ خطيبها.

تضحك زينب: ***-شر البلية ما يضحك، أختك من النوع الذي لا يعيش إلا لنفسه وزوجه، التقيت بها مؤخرا في المتجر مع سليم.***

أختك حقا تحب الهدايا، وسليم فهم جيدا اللعبة واستمالها إليه وإلى أخيه بطريقة محكمة، هو أيضا خائف من أن تتأثر بك هنى أو بالجد فتتخلى عنه مثلما فعلت بأخيه، لهذا هو يسعى جاهدا لإرضائها وإشباع طلباتها الكثيرة والبسيطة...

في حقيقة الأمر، خوفكم من يحرككم ويجعلكم تتصرفون هكذا، للخوف قدرة كبيرة على تحريك البشر ودفعهم للقيام بأمور عجيبة. كل هذا لإخفاء الخوف الذي كان وراء التصرف بحد ذاته.

ليلى: ***-ماذا عنك؟ ما الذي يحركك ويجعلك دوما بجانبي لمَ أنت معي دوما لمَ اخترت دوما ما اخترته.***

زينب: ***-تعبيرك من دفعني ويدفعني***

الأمر يعود إلى سنين عديدة، ولكني أتذكر كل كلمة من تعبيرك كنت صغيرة مثلك ولم أحمل أي حلم في نفسي عكسك.

لم أعرف ما يجب أن أكونه مستقبلا، فأحببت حلمك وأغرمت به وأردت أن أتبناه، أردت أن أبقى معك، أن أقف

معك، فيكون حلمك حلمي، أحببت فكرة إنقاذ الناس وحماية العناصر الذين سيكونون تحت اِمرتك.

أردت أن أكون ضابطا تحت اِمرتك، لتكوني مستعدة لحمايتي ولو بروحك، كما أشرت في تعبيرك، قلتِ أّنك ستحمين عناصر الحماية المدنية ولو بروحك وهكذا لن يكون هناك موتى أو موتى بنصف جسد مثل عمتك.

أحببت فكرة العمل تحت إمرة شخص مسؤول، مستعد أن يكون بطلا ويتجاوز حدود المنطق وقدراته، من أجل من هم في مسؤوليته.

ليلى: ***-أتمنى أن أكون في المستوى وفي حسن ظنك***

زينب: ***-لا تقلقي من هذه الناحية فأنت في المستوى ولست نادمة على اختياري وعلى وقوفي بجانبك ومعك كل هذه الأعوام سيدي القائد.***

تحيي زينب ليلى بتحية الحماية المدنية.

ليلى: ***-هههه لا يوجد أحد معنا لهذا لا تحتاجين للرسميات.***

تبتسم زينب ولا تقول أي شيء.

مضى على ترقية ليلى برتبة قائد ثلاثة أسابيع تماما وعلى شرف هذه الترقية عزمها الجد إلى مطعم فخم على ضفة البحر

ليلى والجد يأكلان ويتحدثان بخصوص أمور عدة، فهما لم يتقابلا منذ زمن طويل لأن الجد كان في الخارج من أجل عمل مهم.

ليلى: ***-أحب هذا المطعم***

الجد: ***-أحب حفيدتي التي أصبحت قائدا بهذه السرعة الخيالية***

ليلى: ***-أحب جدي والمسؤول الأول هههه ... أليس المسئول الأول من أوكل لي المهام الصعبة لأصبح قائدا بهذه السرعة***

الجد بحب وحنان وقليل من الحزن: ***-أنت الطفل الذي لم أنجبه ... أنت الابن الذي أردته خلفي ووريثي***

ليلى: ***-أنا أيضا أحبك جدي أنت قدوتي وجدي***

وبقليل من المزاح

ليلى: ***-أنت المسئول الأول في الحماية المدنية ورتبتك أعلى من رتبتي بكثير وأتمنى أن أصل إلى ما وصلت إليه جدي.***

يسمع الجد هاتفه يرن.

يأخذه وينظر وقبل أن يجيب يقول لليلى: - ***جدّتك..***

الجد: ***-مرحبا ... في المطعم مع حفيدتك ... اه حسنا سأبلغها فورا بهذا***

يبعد الهاتف قليلا ويقول: ***-ليلى جدتك تسلم عليك***

ليلى: ***-أوصل لها سلامي الحار وقبلاتي...***

ولكن وقبل أن تنهي الكلام يقرب الجد الهاتف من فمها لتتحدث مع جدتها فتقول بابتسامة مصطنعة: ***-مرحبا جدتي أحبك...***

يرفع الجد الهاتف إلى أذنه مرة أخرى ويواصل حديثه:

- اه... متى... منذ قليل ... حسنا سآتي على الفور مسافة الطريق وسأكون عندك

يقفل ويأخذ معطفه ويقول: ***-ليلى علي الذهاب جدتك أحوج ما تكون إليّ الآن، الأمر مستعجل.***

لا تقول ليلى شيئا

فقط ترفع يدها وتودع الجد.

اعتاد الجد على هذا النوع من التصرفات، وأصبحت جزء من شخصيته المركبة الغريبة نوعا ما.

للجد عادات غريبة قد تكون عادات الأبطال والقادة أو ربما عادات اللامبالين بالغير.

تتنهد وتسترخي من بعدها تأخذ الحقيبة وتخرج من المطعم دون أن تأكل أي شيء أو تشرب أي شيء من بعد ذهاب الجد.

في هذا الوقت، كان والدا ليلى حول الطاولة يتعشيان بمفردهما لغياب الابنتين، فكل واحدة منهما كانت مدعوة من طرف شخص معين.

أصبح غياب الاثنتين شيئا معتادان عليه، ولم يعد الأمر مزعجا مثلما كان في بادئ الأمر خاصة بالنسبة للأم.

الأب: ***-حين لا تكون هنى هنا كل شيء يكون هادئا بدون روح***

الأم: ***-غياب هنى فقط من يزعج! ماذا عن ليلى؟***

الأب: ***-قولي ما تبقى من ليلى، منذ انفصالها عن ابن أخي كل شيء فيها يثير الحيرة، تصرفاتها كلها مصطنعة***

ومبتذلة ... ضحكها مصطنع ... كلامها اللبق مصطنع ... اهتمامها بالأشياء مصطنع... أحيانا تطالبني نفسي بأن أقول لها ابكي أفرغي ما في جعبتك من حزن وتوقفي عن تصنع الفرح...

تتنهد الأم: ***-أنت محق، هي ليست سعيدة مع أنها تسعى جاهدة لإظهار العكس أحيانا لا أفهم موقفها أهي تحاول خداع نفسها أم خداعنا نحن.***

يشرب الأب جرعة من الماء ليبلع ما في فيه من أكل ثم يقول: ***-مراد أيضا يعاني، أخبرني أخي أنه لم يعد كما كان.***

أصبح يقضي كل وقته في المستشفى، لم يعد يهتم بالعطل كما كان في الماضي، أصبح جديا أكثر من المطلوب.

الأم: ***-لا أدري هل عليّ أن أحتفظ بغضبي من ليلى فأنميه، أم أتخلى عنه وأمسحه من فؤادي فيحل محله الرفق والقبول لفعلها الذي لا يوافق إطلاقا وجهات نظرنا، كلنا ساندنا مراد فيما وقع واعتبرنا ليلى الظالمة الوحيدة في الأمر فعاديناها وأسأنا إليها نوعا ما بكلامنا ونظاراتنا الحاقدة، مع أنها هي الأخرى ضحية مثلها مثل مراد، صحيح أنها المتسببة الرئيسية في الأمر لكنها من عانت أكثر من الكل في المسالة هذه. نتيجة ما حصل غدت دائمة الحزن وكأن الكون من حولها لا نور فيه، مع أن عملها ناجح***

وحياتها العملية ممتازة وهذا ما طمحت إليه دوما. أحيانا يخيل لي أن ابنتي ليلى كمن يلعب بشمعة في ظلام داكن بأصابعه، فيسعى للمس نارها حبا فيها وبها وإذا هي تحرقه وتنطفئ لتتركه وحيدا في ظلام داكن، وهكذا هو حلم ليلى بالعمل في الحماية المدنية، قد يؤدي بحياتها للهلاك وقد أطفأ نور حياتها مراد مع هذا لازالت متمسكة بهذا العمل.

الأب: ***-مراد أيضا معذور في تصرفه، هو خائف عليها هو خائف من أن يفقدها كما فقدنا أختي ... كانت أختي شابة في مقتبل العمر عند موتها...***

أتذكر جيدا أن أختي ولدت حين كنت في العشرين من العمر، وماتت أمي حين كنت في العشرين أيضا وهي تلدها ما اضطر والدي لسبع سنوات أن يعتني بها ويتكفل بها لوحده دون مساعدة أحد، من بعدها أصيب بمرض خبيث فعهد بها لأخي وزوجته.

سكنت خديجة مع أخي الذي اعتنى بها وجعل منها ابنته أكثر ممّا هي أخته، حبا فيها وتمسكا بالوعد الذي أعطاه لوالدي بأن يحميها ولو بروحه، أحبها أولاده واعتبروها أختهم لا عمتهم، موتها حطم قلوبنا وقلب مراد بالخصوص.

كانت تكبره فقط بأحد عشر عاما، وكانت علاقته بها علاقة أخ صغير بأخت كبيرة طيبة...

موتها غير من منظوره للحياة خاصة فيما يخص العمل في الحماية المدنية.

الأم: ***-موت خديجة غير أيضا ليلى تغييرا جذريا جعلها شخصا جديا فوق المطلوب.***

الأب: ***-أتساءل ما كان حلمها قبل موت أختي وهل كان لها رغبة في أن تكون غير ما هي عليه اليوم؟***

موت أختي سكن ليلى فغدا هاجسها الأول، وربما رؤية جثة خديجة من أثر فيها وليس موتها، لا أتوقف عن لوم نفسي لأني سمحت لها برؤية الجثة ولم أمنعها...

رأيتها تتسلل خلف مراد يومها، ولم أفعل أي شيء، خفت أن تلومني بعد مرور السنين على عدم السماح لها برؤية عمتها للمرة الأخيرة وإذا بحرسي يتحول إلى ندم شديد، كانت أصغر من أن تتحمل ما رأته...

يتوقف الأب عن الكلام ويمسح وجهه بكلتا يديه ليخفف عن نفسه القليل من الحزن الكثير الذي تدفق إليه من بعد تذكره لحال جثة أخته.

يقف ويتوجه إلى النافذة لاستعادة بعض أنفاسه.

وإذا بذاكرته تأخذه إلى ذلك اليوم المشؤوم، وإذا هو واقف أمام الجثة التي لم يعد يعرف أهي جثة أم بقايا جثة أم ماذا بالتحديد؟ يتوجه إليها ليرفع عنها كفنها بحثا عن أخته التي يشتاق إليها طول الوقت، ويتحسر على فقدانها وموتها بتلك الطريقة البشعة وقبل أن يفعل يسمع زوجته تناديه: ***-ما بك أصبح لون وجهك شاحب؟***

يستفيق من الخيال ويعود إلى الواقع متألما من الذكرى التي أعيدت عليه من طرف ذاكرته اللئيمة التي لا تحتفظ إلا بالقاسي وتمسح كل جميل.

كيف لليلى أن تنسى ما رأته إن كان هو غير قادر على ذلك مع كبر عمره آنذاك مقارنة بليلى الطفلة الصغيرة.

الأب: ***-أنا بخير مجرد ضيق خفيف في التنفس.***

الأم: ***-أتريد قليلا من الماء.***

الأب: ***-لا شكرا لك.***

الأم: ***-ليلى ترى نفسها وصية على عناصر الحماية المدنية، وتسعى جاهدة لتحسين ظروفهم والرفع من رواتبهم الزهيدة مقارنة لما يبذلونه من عمل قد يؤدي أحيانا إلى موتهم وفق كلام ليلى.***

الأب: ***-ليلى طفلتي التي أردتها سعيدة وإذا هي تغوص بأقدامها في عالم اختارته من دون مشورة منا. غدت تعيسة على منظر منا. أخاف أن تقع في مشاكل جسام لن تخرج منها بيسر.***

الأم: ***-أتساءل أحيانا كيف ستكون نهاية ما نحن عليه اليوم من حيرة وانزعاج؟***

الأب: ***-الخالق وحده من يعلم.***

الساعة تشير إلى التاسعة ليلا في صالون منزل مراد الفاخر.

الأم والأب يتفرجان على فيلم وهما يأكلان المكسرات

الأب: ***-ألن يدخل ابناك إلى المنزل.***

الأم وهي تضحك: ***-ليسا ابناي لوحدي. أنت الأب وعليك أن تطلب منهما عدم الإطالة في الخارج ليلا***

الأب ساخرا: ***-اه حقا، ولمَ لمْ تطلعيني على الأمر مسبقا لأطلب منهما !***

الأم: ***-الطفلين ...***

يقاطعها ويقول: ***-الطفلين قولي الرجلين، هما على كبر عمرهما يتصرفان بلا مبالاة والفضل يعود إلى دلالك المفرط في تربيتك لهما.***

الأم: ***-أنت أيضا دللتهما، ومن ثم ابناي محترمان ولا يتصرفان بلا مبالاة.***

الأب: ***-ماذا تسمين ما فعله مراد بليلى؟***

الأم: ***-هي المذنبة وليس ابني مراد.***

الأب: ***-يا مثبت العقل ثبتني على الدين دائما الحق مع ابنك أهذا منطقك ؟***

الأم: ***-فعلت هذا متعمدة لتتزوج برجل يختاره لها جدها الشرير.***

الأب: ***-ليلى لن تتزوج من غير مراد هذا ليس واردا البتة.***

الأم: ***-وما أدراك خاصة ومع إصرار جدها على تعريفها على من يسميهم بنبلاء الجيش أي القادة، قد ترضخ وتقبل بأحدهم فيعينها على تسلق المراتب أكثر مما فعل جدها؟***

الأب: ***-وهل هذا الأمر يحتاج إلى كلام وإدراك، هي تحبه منذ أن كانت صغيرة. أتذكر حين كانت طفلة، كانت تعتقد أن***

مراد دميتها ولم تكن تسمح لأحد أن يلمسه من غيرها أو يقترب منه، دوما اعتبرته ملكا لها. وحين كبرت وقعت في غرامه وأرادته ملكا لها.

الأم: ***-هو أيضا أحبها لكن الجد لعب دوما دور حجر العثرة في طريق حبهما.***

الأب: ***-قولي هو أيضا يحبها، مراد لم ينساها يوما هو فقط يعاند لأنها لم تطعه أما الجد فلا أعلم قولا يصف فعله بنا، قد دمر حياة أختي خديجة والآن يريد تخريب حياة ابني مراد.***

الأم: ***-أمقته وأتمنى أن ينفى من البلاد لكي يأخذ شره بعيدا عنا.***

يضحك الوالد بسخرية وهو يقول: ***-أنسيتي من يكون؟، إنه البطل القومي ولن ينفى مهما وقع... بطولاته تفوق التصور والأمر لا يستطيع أحد انكاره لهذا فهو رمز وطني ولا يمكن نفيه بل هو سيظل في البلاد وسيكرم كالمعتاد سنويا في سنوية أمجاده.***

الأم وكأنها منهكة: ***-أتعرف ...تعبت منه ومن الأثر الذي خلفه ويخلفه في حياتنا، سعيدة أن هنى لا تحبه ولا تتأثر بفكره.***

يضحك الوالد ويقول: ***-أتتذكرين المقابلة الصحفية الأخيرة التي أعدت لجميع أفراد عائلة البطل الكولونيل محمد نصير، أضحكتني هنى حين قالت للصحفية أن جدها ليس بطلا بل شرير وأنه يسيء معاملتها، لا أفهم إلى الآن لمَ لمْ تحذف اللقطة؟***

الأم: ***-لكي يتباهى ويثبت للناس أن كل ما ورد في الحوار هو الحقيقة، حقيقة واقعه وحياته ولا تزوير في الحوار، وليثبت أنه صريح ومتسامح جدا مع أفراد العائلة، ألا تتذكر ما قاله حين سأله الصحفي في مقابلته الأخيرة حول ما قالته حفيدته؟، أجاب بقوله أنه شخص لطيف جدا مع كل أفراد عائلته وأنه يتقبل وجهة رأي الآخر مهما كانت جائرة في حقه وإنما قول حفيدته يعود إلى أنه متسامح معها، ما جعلها تتكلم دون أي خوف، وإنما قولها يعود إلى أنه لم يحضر آخر عيد ميلاد لها لأنه كان في مهمة رسمية ما لم يسمح له بالحضور مع حبه الكبير لحفيدته ولكن حب الوطن أولى وأهم.***

الأب: ***-حول الأمر لصالحه هذا هو الكولونيل محمد نصير يخلق من النار سلاما.***

الأم: ***-هو أذكى من أن نتخلص منه.***

الأب: ***-قبل أن يكون في الحماية المدنية كان قائدا في القوات البرية على الحدود الوطنية ما جعله يكتسب الخبرة في كل شيء ويحول المواقف التي ضده في صالحه... قيادته للناس أكسبته معرفة في أمورهم وأحوالهم كلها***

الأم: ***-ومن أكسبه ذلك التفاخر كله والتباهي؟ وماذا عن تلك الجلسة التي يجلسها كلما وجدناه في منزل أخيك؟***

الأب وهو يضحك: ***-المقامات العالية تغير من أحوال الناس وطريقة تفكيرهم كما هو حال المال الكثير، فالمقام العالي رزق من نوع خاص.***

الأم وهي تتنهد: ***-محقة هنى حين أجابت في بداية المقابلة الصحفية بطريقة صادقة.***

الأب: ***-ذكريني وما كان السؤال الأول؟ حقا غاب الأمر تماما عن ذاكرتي بعد كل هذا الزمن.***

الأم: ***-هل تعتبرين نفسك محظوظة كون الكولونيل محمد نصير جدك؟***

الأب: ***-وما كانت إجابتها؟***

الأم: ***-لم أعتبر يوما نفسي محظوظة بالأمر، فلا هو استحقاق ولا اختيار ولو كان الأمر بيدي لاخترت جدا يكون في صفي لا في صف الحماية المدنية وأعوانها.***

الساعة تشير إلى التاسعة ونصف ليلا في محطة الوقود الواقعة على بعد كيلومترات من المستشفى حيث يعمل مراد.

وليس بعيدا من محطة الوقود، حسان يقود السيارة ومنى جالسة بجانبه على المقعد الأمامي في حين كان مراد جالسا على المقعد الخلفي يتأمل الشارع الذي تخترقه السيارة على عجل من النافذة ...

حسان: ***-ما هو احساسك بعد أن غدوت المسؤول الأول على الجراحين؟***

لا يجيب ولا يولي السؤال أي أهمية.

يستدير نحوه حسان بعد أن أعاد السؤال عدة مرات دون أن يلقى الإجابة.

تميل السيارة قليلا عن مسارها وتلامس سيارة أخرى لمسا خفيفا ترتجف له منى بشدة وتصرخ له قائلة: ***-احذر ستصطدم بالشاحنة أمامنا.***

مراد يصرخ: ***-استدر وإلا قتلتنا***

حسان: ***-ما هو احساسك وأنت المسؤول؟***

مراد: ***-مثل احساسي والسيارة تلامس الأخرى خوف وهلع شديد من الموت.***

حسان: ***-اف... لا تريد الإجابة أنت عنيد يا مراد***

حسان: ***-منى ... ماذا عنك؟ ما هو احساسك بعد أن أصبح مراد المشرف على الجراحين هل أنت سعيدة بالأمر؟***

منى: ***-متأكدة من تحسن الأوضاع إلى الأفضل في قسم الجراحين فمراد صارم ومخلص ومحب للعمل ولن يقبل بأي تسيب وتهاون ...***

حسان: ***-وهذا ما يخيفني فيه كونه لن يقبل بأي تسيب وتهاون في العمل، وهذا ما يخيفني في مراد، حقا هو من النوع الذي لا يتسامح في الأمور المتعلقة بالعمل، وأنا من النوع الذي يحب التسيب لكني أشك في أن يكون صارما جدا بخصوص أمري فأنا صديقه.***

يضحك مراد من كل قلبه من الطريقة المضحكة التي قال بها حسان قوله

مراد: ***-أنت صديقي ... ولن أكون متشددا معك بل قد أدللك وأطلب منك عدم العمل نهائيا ما يعني عزلك التام عن العمل.***

حسان: ***-إذا أنت لا تعرف جيدا قدر نفسك أنت قد تطالبني بالاستقالة وليس العزل فقط.***

يستدير إليه حسان ويقول: -***أنت يا مراد لا صديق لك حين يتعلق الأمر بالقوانين والعمل***

يضحك مراد: -***حسان أتريد ان تقتلنا اليوم ركز أكثر في القيادة ودع العمل وشأنه الآن، سنكمل الحديث بهذا الخصوص غدا.***

يستدير حسان: -***إن لم أقتلك قتلنا بالعمل.***

منى: -***حسان هههههه... أنت مضحك***

حسان: -***هههههه ألم أقل لك أنا الأنسب زوجا لك، أنا جراح... ومضحك***

مراد يضحك بسخرية وبمرح: -***والأهم من كل هذا كله محب للعمل***

منى بمرح: -***هههههههه نسيت أن تقول جدا... هههههههههههه والأهم من كل هذا كله محب للعمل جدا جدا جدا***

حسان: -***نحن مجانين هههههه***

يصلون إلى محطة الوقود، يوقف حسان السيارة ويقول: -***عليّ إطعام سيارتي، أعتقد أنها فارغة من الوقود.***

ينزل حسان يبدأ بملء الخزان، ولكن سرعان ما يلحق به مراد يقف ليس بعيدا عنه.

بعد وهلة تنزل منى أيضا وهي تقول: ***-أحب سماع ما تقولان***

مراد يضحك: ***-أنا لا أقول... هو من يقول.***

يوجه إصبعه إلى حسان بمرح ويعيد قوله: ***-هو من يقول***

يضحك الثلاثة بمرح غير آبهين بنظرات القليلين الموجودين في المحطة.

على الطريق المقابل لمحطة الوقود، ليلى تقود سيارتها وتحاول عبور الطريق للدخول إلى المحطة لملء خزان سيارتها الذي لاحظت أنه فارغ إلا من كمية قليلة لن تكفي لقطع المسافة الموجودة بين المنزل والمحطة.

تستدير يمينا وتحاول العبور بسرعة بسيارتها إلى محطة وقود.

بعد دخولها بصعوبة تركن سيارتها وتنزل منها وتبدأ في البحث عن عامل ليملأ خزان وقودها. بعد مدة من السير في المحطة دون أن تلحظ وجود أي عامل يساعدها على انجاز ما هي ناوية على إكماله، تسمع أحدا ينادي عليها تستدير وإذا

بحسان واقف على بعد أمتار منها يلوح بيده لها وهو متهلل كعادته.

تسرع ليلى في اتجاه حسان

ليلى: ***-حسان هلاَّ ساعدتني...***

تتقدم إليه وهي معتقدة أنه لوحده لأن الأضواء لم تكن كلها مشتعلة لرؤية كل شيء بوضوح.

تصل إليه وتقدم يدها لتصافحه وهي تكمل جملتها: ***-لملء الخزان***

ترى مراد يحمر وجهها وترتبك ويلاحظ الكل هذا

حسان: ***-أعرفك... منى زميلة لنا في العمل، جراحة تعرفينها جيدا سبق وأن تقابلتما مرارا في المستشفى بالطبع في الماضي.***

ليلى: ***-تشرفت...أتذكرها جيدا سعيدة برؤيتك.***

منى: ***-الشرف كله لي برؤيتك مجددا بعد كل هذه الأعوام***

حسان: ***-أعرفك مراد بنامري ابن عمك...رفيق الطفولة ...صديقي...وماذا كذلك...المسؤول الأول عن قسم الجراحة من الأمس فقط، وهو من سيحول حياتي عن قريب إلى جحيم بفضل حبه للعمل وجديته المفرطة...***

ترفع ليلى عينيها إليه بخجل: ***-مبارك لم أعرف بترقيتك***

مراد: ***-شكرا لك ليلى... مبارك لك أيضا منصبك الجديد، سمعت أنك حصلت على ترقية لتكوني برتبة قائد.***

ليلى: ***-شكرا جزيلا لك يا...***

يقاطعها حسان: ***-بالطبع سترافقيننا إلى المطعم هههههه مراد من سيدفع... هو من عزمنا لترقيته إلى منصب مسؤول... وبإمكانك طلب كل ما تريدينه ... تعرفين هو كريم وسخي في عزائمه لنا تتذكرين ذلك أليس كذلك؟***

مراد: ***-تعالي معنا***

ليلى: ***-شكرا لقد تأخر الوقت وعليّ الدخول إلى المنزل سريعا***

حسان: ***-اشربي شيئا معنا وارحلي بعد ذلك إن أردت لن يأخذ الأمر كثيرا من الوقت ... اجلسي معنا ستستمتعين بالأمر أؤكد لك***

تهز برأسها: ***-أنا موافقة***

حسان: ***-تعالي سأساعدك على ملء الخزان***

تلحق به ليلى كطفلة مطيعة على أنظار منى ومراد

منى مستغربة تسأل: ***-ليلى تعرف حسان جيدا على ما يظهر؟***

مراد: ***-حسان يسكن نفس العمارة التي تسكنها ليلى وأمه تكون ابنة عم أم ليلى***

منى مستغربة: ***-تقريبا هم أولاد الخالة***

مراد: ***-أجل فحسان يعتبرها ابنة خالته وأحسب أن ليلى أيضا تبادله في هذا الشعور***

منى مستغربة: ***-هو لم يحك لي يوما عن قرابته هذه التي تصله بليلى***

مراد: ***-لم تسأليه ربما، مع هذا أنا لا أستبعد أن يكون قد كتم الأمر متعمدا، فهو شخص يحب التكتم كثيرا حين يتعلق الأمر بعائلته، مع حبه الكبير لإغراق المستشفى بالشائعات وفضح أمور الأطباء، لا أعرف ماذا سأفعل معه بعد أن غدوت المسؤول الأول على قسم الجراحة، أعرف أني سأتلقى الشكاوى يوميا بخصوص هذا الأمر من الأطباء كلهم.***

تضع منى يديها في جيبي معطفها ولا تعلق بأي كلمة عمّا قاله مراد.

بعد وهلة تقول منى: ***-البرد قارس***

يفتح مراد باب السيارة: ***-فلندخل السيارة***

يجلسان صامتان

بعد وقت قصير من دخولهما الى السيارة يريان حسان مسرعا إلى السيارة

يفتح الباب ويدخل نصف جسمه، يمد يده إلى مراد ويعطيه مفاتيح سيارته يقول: ***-مراد قد السيارة ليلى لا تحب القيادة ليلا ... سأقود سيارتها... اسبقانا ... ونلحق بكما***

وقبل أن يقول مراد أي شيء يسرع حسان بالمغادرة.

تستغرب منى من تصرفات حسان اللبقة مع ليلى ولا تقول أي شيء فهي ابنة خالته وحبيبة مراد والأمر يستحق فعلا.

على حسان أن يجامل مراد باعتنائه بليلى، وكيف لا وهو الذي رأى مراد يلاحقها بعينيه ويغازلها دون أن يقول أي كلمة.

مراد غدا الرئيس في العمل، ولا بد من مجاملته أحيانا ليغض النظر عن الشائعات التي يحب حسان رميها في المستشفى، كما ترمى القمامة في كل مكان فتنبعث منها الرائحة الكريهة، أصلا لولا الشائعة التي رمى بها المدير

بخصوص علاقته مع تلك المرأة لما استقال عن العمل ولما أصبح مراد اليوم المسؤول الأول في المستشفى كله.

فهمت منى لتوها لمَ يحب مراد حسان، مع أن لسانه طويل لسع الجميع في العمل دون استثناء بالتأكيد، لأنه قريب ليلى. وكيف لا، أصلا هذا هو التفسير الوحيد لحماية مراد لحسان في العمل. دوما كان مراد في صف حسان ولم يفهم أحد السبب.

اليوم توضح الأمر لها...

مراد شخص مستقيم ويكره القيل والقال، وهذا أمر معروف عنه، مع هذا يحب حسان ومتسامح معه وأصلا حسان هو الصديق المقرب جدا له لأنه من رائحة ليلى.

تتنهد منى وهي تقول في نفسها: ***-أيحبها إلى هذا الحد ؟! يا لها من محظوظة ليتني كنت مكانها لبعت الأخضر واليابس من أجله.***

تستدير إلى الخلف لترى سيارة ليلى تلحق بهم...

تتقدم سيارة حسان على سيارة ليلى ببعض الأمتار.

حسان وهو يقود: ***-عليّ الإسراع قليلا***

لا تعلق ليلى بشيء كونها كانت تفكر في أمور أخرى مهمة.

حسان بصوت مرتفع: ***-ما الجديد ليلى؟***

دون أن تنظر إليه: ***-لا شيء.***

تعدل من جلوسها وتستطرد وتقول: ***-كل جديدي عني تعرفه قبل الكل ... مراد وانفصاله عني... وعن عملي بخصوص المركز الجديد.***

تستدير سيارة حسان وتتوغل في شارع آخر أوسع من الأول.

فيستدير حسان بدوره بسيارة ليلى: ***-منذ متى لم تتحدثي معه؟***

تستدير ليلى وترمقه باستغراب.

حسان: ***-مراد ... أقصد منذ متى لم تتحدثي مع مراد؟***

ليلى: ***-3 أعوام أو أكثر فكما تعلم لقد كان في بعثة للخارج وهذا سهل الأمور عليه ليتجنبني ويبعدني كليا عن طريقه.***

حسان يبتسم ويقول: ***-تعلمين كل جديد عنه ولا تحتاجين لمساعدتي لمعرفة جديده على ما أعتقد... إن شئت حدثتك عنه؟***

ليلى: ***-تعرف ابنة خالتك هنى... هي من أخبرتني بكل شيء قبل أن يسافر حتى...***

يرى حسان سيارته تتوقف أمام مطعم فندق فخم.

يقاطع كلام ليلى ويقول: ***-اختيار ممتاز... أحب أكل هذا المطعم، لولا الأسعار الباهظة، أعتقد أنه اختار المطعم إرضاء لك فهو يعلم أنك تحبينه، وقد عزمنا دوما إلى هنا حين كنا شبابا، أقصد كان يقوم بعزيمتك إلى هنا وكنت أتطفل عليكما فيضطر إلى دفع حسابي وهو كاره للأمر لكن جدك من كان يطلب مني فعل الأمر، وكنت أطيعه على اعتباره جدي أنا ايضا وهكذا اعتبرته دوما.***

تبتسم ليلى وتقول: ***-خذلته حين غدوت صديق مراد وتخليت عن المشروع الذي رسمه لحياتك... أن تكون من عناصر الحماية المدنية أمر مهم بالنسبة له لحقت بمراد وتخليت عمّا خططه لمستقبلك لهذا...***

يقاطعها: ***-يمقتني ويمقت مراد.***

ليلى: ***-الأمر ليس كذلك؟***

حسان: ***-هو كذلك... لا تتستري عن جدنا أكثر. خسرت مراد من وراء تتبعك لأوامره ومخططاته و أنت التي تعلمين قدر كرهه لمراد... لا أفهم لمَ تواصلين المشي خلف الجد، يخيل لي أحيانا أنك تحاولين تقليده في كل شيء، في خطواته وحجم خطواته، أنت أذكى من أن تكون ظل أحد من البشر... جدي يكره جدا مراد على اعتباره المسؤول الأول لتنازلي عن الحماية المدنية والِتحاقي بالطب، مع أن الأمر ليس كما يعتقد الجد، فأنا المسؤول الوحيد على خياراتي وليس لمراد أي علاقة، دوما أحببت الطب لكن الجد قاس بطبعه، فكتمت رغباتي خوفا من ردة فعله العنيفة، أنا كنت أخاف من الجد ولم أكن أقول له إلا كما تريد جدي، حتى أني أقدمت على التطفل والتجسس عليك ومراد لأنقل كل شيء له...جعل مني جاسوسا و جعلني مراد إنسانا بعدما صادقته وصدقته، مراد صديق عمري ولن أخيب ظنه بي مهما حدث***...

ليلى: ***-حسان فلنغير الموضوع... تعبت من القصص التي تدور أحداثها كلها حول الجد، أو بالأحرى الجد فيها هو البطل الرئيسي دون منازع دون منافس...***

يحدق إليها دون أن يقول أي كلمة.

يرن هاتف ليلى بعد أن ركن حسان السيارة.

ينزل حسان أولا من السيارة، ويرى مراد ومنى واقفين قرب السيارة ينتظران، يتوجه إليهما تاركا ليلى خلفه.

يصل حسان إلى مراد ويربط على كتفه وهو يقول:

-أحسنت في الاختيار.

مراد: ***-هذا المطعم هو المفضل عند ليلى...***

يصمت مراد بعد أن يرى ليلى تقترب منهم وهي تتحدث على الهاتف.

ليلى: ***-ألم تدخلي بعد إلى المنزل ألا تعتقدين أن الوقت متأخر جدا.***

تصل إلى حيث مراد والآخرين فتبعد الهاتف وتضع يدها عليه وتقول: ***-آسفة، أنا أتحدث مع أختي فقد اتصلت بي ولا أستطيع إلا أن أرد على اتصالها.***

يتوجه الأربعة إلى المطعم وليلى دوما على الهاتف تحدث أختها على مسمع من الكل.

ليلى: ***-أنت مبتدئة فيما يخص القيادة وقيادة السيارة ليلا أمر صعب للمحترفين فما بالك بالمبتدئين ...***

يبتسم مراد حين سماع هذا ويقول في نفسه: ***-سماع صوتك يكفيني يا روح جسدي كم اشتقت لرؤيتك.***

آه حقا غير مهتمة لماذا وما دخلي في الأمر، أنا مضى على قيادتي للسيارة أعوام، لمَ تقارنين نفسك بي على الدوام... وما ذنب سليم، لا يحق لكِ جرجرته في الشوارع ليلا ولا يحق لكِ أن تحمليه عواقب قيادتك... هنى أدخلي فورا إلى المنزل ولا تجادلي... هذا أمر وعليك العمل به لا مناقشته...أنا لست القائد إلا في المركز، أنا أحدثك كأخت كبرى ولم أحاول يوما أن ألعب دور القائد معك أو مع الأهل ...أنت ستطيعين... إياكِ وإقفال الخط لم أُنهِ كلامي...

تبعد ليلى الهاتف من على أذنها وتحدق فيه.

حسان: ***-هههه هل أقفلت الخط بوجهك.***

ليلى: ***-معتادة فعل هذا منذ أن انفصـ...***

لا تكمل القول بعد أن تذكرت أن مراد هنا.

منى: ***-من كثرة العمل لم أرتد المطاعم من زمن طويل.***

حسان: ***-من قلة المال لم أرتد المطاعم من زمن طويل.***

مراد وهو يمازح حسان: ***-قل من كثرة بخلي لم أرتد المطاعم من زمن طويل.***

حسان: ***-اشتقت لمزاحك لهذا لن أغضب منك.***

يصمت مراد ولا يجيب.

تفهم منى المغزى من كلام حسان فتحس بوخز بسيط في قلبها.

تقفل هنى الخط وترمي الهاتف إلى خلف مقعدها.

تزيد من سرعة السيارة.

يمسك سليم الباب بشدة وهو خائف.

ترتعش أوصاله.

يسيل العرق منه.

يجف اللعاب في فمه.

تنشف الدماء في عروقه.

تتسارع دقات قلبه.

تجحظ من مكانها عيناه.

يتشهد سليم ويتشهد دون توقف من شدة رعبه.

سليم: ***-لا إله إلا الله... لا إله إلا الله... إنا لله وإنا إليه راجعون، سامحيني يا أمي، لم أتصور أن أموت اليوم، لم أتصور أن أموت بهذه السرعة، فأنا لا زلت شابا في مقتبل العمر... مراد أين أنت ساعدني أخي... يا إلهي ارحمني فأنا عبدك الضعيف الذي ابتليته بحب المجنونة هنى فلولا حبي ما***

كنت في هذا الموقف ولما تعرضت لكل هذا الخوف والجنون...

هنى: ***-لا تخف أنت معي... حين أقود عليك أن تعلم أنك لن تصاب بأذى، فأنا ماهرة جدا في كل أمر أقوم به ... أنت في مأمن معي حبي.***

سليم: ***-لا إله إلا الله... لا إله إلا الله... أنا معك... وأنت من يقو... يا رب لا أريد الموت يا رب ساعدني ماذا فعلت كي أستحق كل هذا.***

تضحك هنى: ***-هههه أحبك حتى حين تخاف، أحبك وأحب خوفك... مظهرك مضحك حين تخاف ... أحبك يا ابن عمي الوسيم***

سليم: ***-لا إله إلا الله، أيعقل أن أموت هكذا... لا إله إلا الله، أين أنت مراد...***

في هذا الوقت يكون مراد جالسا مع الثلاثة في المطعم في انتظار طلباتهم.

مراد مبتسما: ***-حقا ستأكل كل ما طلبته هههههه، أو ربما لأني من سيدفع الفاتورة طلبت الكثير.***

حسان: ***-الإجابة واحد واثنين.***

ودون قصد يقول حسان بخفة دمه المعتادة لليلى: -***زوجك من سيدفع اطلبي ولا تبخلـ..***

يدرك ما قاله ويتأسف ولكن لا جدوى من الأسف من بعد ما سمعه الجميع.

تحس ليلى بالاختناق وتشتهي البكاء.

تعتذر ليلى وهي تقول: -***أعتذر سأدخل الحمام***

تنهض وتتوجه حيث الحمام وهي مسرعة.

بعد ابتعادها.

حسان: -***آسف مراد كان .... كان مجرد خطأ، معتاد أن أقول لها زوجك مراد منذ الصغر.***

مراد: -***أعرف ذلك***

يظهر القلق على مراد.

مراد: -***منى، هل يمكنك الذهاب للاطمئنان عليها لا أريدها أن تبكي مطولا في الحمام.***

تصل ليلى إلى الحمام وتبكي بشدة وهي مقابلة لمرآة ضخمة موجودة في الحمام حيث الحنفيات لغسل الأيدي.

تبكـــي علـــى منظـــر مـــن نســـاء يحـــدقن إليهـــا بفضـــول واستغراب.

تدخل منى وترى ليلى تقترب منها ببطء.

ودون أي احساس تقول منى: -***هل أنت بخير؟***

ليلى وهي تبكي: -***أنا بخير فقط مجرد قليل من التعب وقد تحول إلى بكاء...***

تغسل وجهها بسرعة وتمسحه بمنديل ورقي.

تعاود وضع المكياج على عجل.

بعدها ترسم ابتسامة مصطنعة وتقول: -***منى هيا بنا لا أريد تركهما ينتظران مطولا***

منى وهي مستغربة مما يحدث وكارهة له، لحبها الكبير لمراد ومقتها الكبير لليلى: -***حسنا كما تريدين.***

تخرج ليلى من الحمام وتلحق بها منى دون قول أي كلمة.

يضع النادل الطلبات الأخيرة قبل أن تصل ليلى إلى كرسيها بثواني فقط.

تجلس ليلى وتجلس منى بدورها.

يأكل الأربعة دون أن يقول أحد شيئا.

تتبادل النظرات بين ليلى ومراد.

نظرات الأشواق والحب والاشتياق.

ما إن ترفع ليلى عينيها عنه حتى يبدأ هو في تأملها.

ولم يخف الأمر عن منى وحسان بالطبع فلم يسع أحد من الاثنين إخفاء أشواقه المكبوتة منذ زمن في نظراته.

فنظراتهما لبعضهما كافية للإيشاء بهما وبحبهما.

ليكسر الصمت حسان وفمه مملوء: ***-متى العزيمة القادمة***

منى: ***-ألا تعزم أنت أبدا، دائما نحن من يعزم دوما وتكرارا ... اِعزمنا أنت هذه المرة، أخرج القليل من المال من جيوبك.***

حسان وفمه مملوء: ***-تمنيت ولكني فقير.***

مراد: ***-أنت تعمل كطبيب مثلنا وتتقاضى نفس راتبنا.***

حسان وفمه مملوء والملعقة في يده:

- أريد شراء منزل

منى:- -منزل آخر؟ يا إلهي!

حسان: ***-ليلى اِعزمينا أنت على أكلة شهية.***

ينظر إليها مراد بولهان.

ليلى: ***-اِختر المطعم الذي تريد، محظوظ أنت لأني في عطلة هذه الأيام وسألبي مطلبك على الرحب والسعة.***

منى: ***-حقا محظوظة أنتِ، أنا أيضا محتاجة لعطلة ... أنا أحس أني متعبة جدا، أحس أني الوحيدة التي تعمل في هذا الكون***

تبتسم ليلى...

حسان: ***-ماذا عنك أيها الوسيم، ألن تحصل على عطلة لنستريح قليلا من العمل ومنك، أقصد لتستريح قليلا؟***

مراد: ***-عليك بإجازة دون راتب.***

حسان: ***-ومن سيعيلني.***

مراد: ***-أليس لك مال في البنك اسحب منه القليل.***

حسان: ***-أتريد أن أصاب بأزمة قلبية.***

مراد: ***-أف من حبك للادخار.***

يحل الصمت من جديد ويظهر الانزعاج على وجه منى بسبب النظرات المتبادلة بين ليلى ومراد طيلة الوقت.

تقف منى وهي منزعجة وتقول: ***-سأذهب.***

يسرع حسان بالوقوف وفمه مملوء بالأكل وهو يمضغ.

حسان: ***-سأقلّكِ***

منى: ***-لا***

حسان: ***-بلى ...سأقلّكِ بسيارة ليلى ومراد سيأخذ سيارتي.***

لا يقول مراد ولا ليلى أي شيء، وكأنها فرصة أتت إليهما دون أن يسعى أي أحد منهما للحصول عليها فلمَ تضيع من أجل أحد من البشر.

يتوقف الزمن عن الحركة الدورانية وتتوقف الكواكب عن الدوران ويستقر كل شيء ويثبت ويبدأ قلب ليلى بالنبض، وهذا هو المعتاد حين وجود مراد معها، كل شيء يتوقف عن الحركة إلا قلبها من يتسارع في ضخ الحياة إلى كل خلية في جسدها.

يبدأ مراد في التحديق إلى كل أنحاء المطعم لتجنب نظرات ليلى.

بعد فترة ينادي مراد على النادل لأخذ ورقة الحساب. يدفع ويخرج مع ليلى جنبا إلى جنب في اتجاه السيارة.

يصلان إلى السيارة، يفتح لها الباب الأمامي، تركب ويسرع بالركوب ويشعل السيارة

يحل الصمت في السيارة...

يشعل مراد بعدها اغنية:

Said Yefnaine Mi ara tkecmed

تنظر ليلى إلى مراد المركز في القيادة بحزن، بعدها تستدير إلى النافذة وهي تقول: ***-هل السعادة أمر حقيقي أم وهم؟***

مراد: ***-من يدري ... فالأمر متوقف على عوامل عديدة***

ليلى: ***-أي عوامل هذه.***

مراد: ***-موت العمة محروقة هي أحد هذه العوامل، جثتها التي كانت جزء من جسدها عامل آخر يا ليلى.***

ليلى: ***-ماذا عن حبي الكبير لك، ألا يمكن أن يكون أحد العوامل يا مراد؟***

يصمت ولا يقول أي كلمة.

ليلى: ***-تعلم سبب دخولي للحماية المدنية ألا وهو حماية العناصر لكي لا يتعرضوا لما تعرضت له عمتي خديجة فلماذا تحاسبني بالحسنة الوحيدة لي.***

مراد: ***-ماذا تريدين مني الآن ليلى؟ ... أتريدين تعذيبي أكثر ممّا أنا معذب بسبب اختيارك... أنت تذكرينني بعمتي،***

كلما رأيت لباس الحماية المدنية على جسدك، أنا أتذكر جثة عمتي، كلما رأيتك بذلك اللباس، أرجوك لا تحمليني أكثر من طاقتي، أحبك ولن أكون لغيرك، لكني لا أستطيع أن أكون معك مع أني ملكك، فذلك اللباس الذي اخترتيه يمنعني من الاقتراب منك وتقبيلك ولمسك، أحبك ولن أحب غيرك، مع هذا أنا غير قادر على معانقتك ومنحك ما هو ملك لك أصلا... قلبي.

ليلى وهي تبكي: ***-لمَ لا تفهمني مراد؟، لمَ تريد قتلي؟، أنا أحبك ولست سعيدة بسبب بعدك عني. كل أيامي رمادية من دونك. لمَ يساند كل الرجال حبيباتهم لتحقيق أحلامهن وأهدافهن إلا أنت... أنت تقهرني وأنت متعمد مراد.***

مراد: ***-دموعك غالية ولكنها لن تغير من الأمر شيء.***

ليلى: ***-ماذا عليّ فعله؟***

لا يجيب على كلامها.

ليلى: ***-أتمنى أن أموت مثلما ماتت خديجة وترتاح مني وأرتاح من الألم الذي يسكنني ويطبق على أنفاسي.***

مراد بغضب شديد:

- أصمتي أصمتي ... أتريدين أن أترمل من بعدك، يا لك من أنانية أتريدين أن أكمل حياتي تعيسا مقهورا من دونك.

ليلى: ***-لا أفهمك ولم أعد أستطيع فهمك حبيبي.***

تكمل ليلى بكاءها على منظر من مراد.

مراد: ***-افتح لي بصيرتي ربي وارحمني يا أرحم الراحمين.***

ليلى وهي دوما تبكي: ***-جروحي كلها تنزف بك ولك، ما الحل فلا أنا أتخلى عن حلمي ولا أنت ترضى أن تتجاوز عن الأمر.***

أحبك ولا أستطيع أن أسعد من دونك، إن الكون على كثرة الناس فيه فارغ إن لم تكن أنت فيه... أحبك، أموت من حبك يا إلهي لما جعلت قلبي عامرا بحبه.

مع حبي الكبير لك، الحماية المدنية حلمي، وعقلي لا يتجاوب لمخدر الحب، لأنه جعل الحماية المدنية هدفا هاما، زد على هذا عناصر الحماية المدنية في حاجة إليّ هم يموتون ولا أحد يسال عنهم، هم يموتون أبطالا مع هذا هم مجهولون من الناس، مع أنهم يموتون في خدمة الوطن ... أصلا هم يعملون بجد دون الحصول على الاستحقاقات الحقيقية التي يستحقونها.

موت خديجة أيقظ في قلبي إحساسا بالمسؤولية تجاه هؤلاء الذين يبذلون حياتهم في خدمة الوطن والمواطن، من

واجبي مساعدتهم للتحسين من أوضاعهم ومن رواتبهم ومن...

يقاطعها مراد: ***-واضح من كلامك أنك اخترت وانتهى الأمر، فلمَ كثرة الكلام؟ أهي غاية في نفسك أن تبلغي مني مبلغ العذاب والقهر... أنت كمن يمزق بالسيف جرحا في الأصل ينزف...أنت كمن يحفر خندقا في الأصل محفورا.***

ليلى: ***-ارحم قلبي.***

مراد: ***-ولمَ أرحم من لم يرحمنِ لمَ؟ آه ربما نسيتِ ما وقع عليّ بسبب اختيارك؟ أنت تعلمين عمق قهري بموت خديجة محروقة، وأنت تعلمين أن الطقم الذي تلبسينه في عملك يذكرني بها جثة. مع هذا لم تهتمي لأمري ولبست الطقم رغما عني وكأنك تريدين أن أتعذب مرارا وتكرارا في حياتي تعذبت لموت خديجة والآن تريدين أن أتعذب من أجلك حين...***

لا يكمل ما أراد قوله.

ليلى: ***-أكمل قولك، تريد أن تقول حين أموت أليس كذلك؟***

مراد: ***-أفضل أن أهجرك وأعود نفسي على الفراق شيئا فشيئا على أن أفجع فيك دفعة واحدة دون تحضير نفسي مسبقا.***

ليلى: ***-حلمت بعمتي من أيام.***

مراد: ***-دوما حلمت بها قبل أن أغدو طبيبا.***

يسود الصمت بينهما طويلا.

ليلى بعد تفكير معمق ومطول: ***-ألن يشفع لي عندك حبي وولهاني بك.***

مراد: ***-لا وتعرفين الإجابة فلمَ تسألين عن شيء تعرفين الإجابة عنه في الأصل.***

ليلى: ***-لأني أحبك، أحاول أن أقنعك بوجهة رأيي.***

مراد: ***-أفضل أن نكمل الطريق صامتين فلا جدوى من الكلام، كل منا اختار وقرر وانتهى الأمر إنما كلامنا كلام بدون جدوى.***

يرفع مراد من صوت المسجل ويركز الاثنين على الطريق والأغنية والحزن يعصر قلبيهما فلا أحد منهما يستسلم ويرضى بموقف الاخر.

مضت الأعوام مسرعة والأيام كالبرق وبعد التخرج الزواج وهذا ما قرره سليم من البداية مع هنى.

اليوم يوم مهم للعائلتين فيه يختار أهل العريس والعروس موعد الزفاف رسميا.

لهذا فالكل على أهبة الاستعداد.

في غرفة مراد الفخمة الشاسعة، مراد جالس على سريره وهو يلبس طقما فخما أسودا، وليس بعيدا عنه سليم واقف مقابل لخزانة مراد المفتوحة أمامه يفتش في الملابس باحثا عن طقم يلبسه لهذه المناسبة التي ستحدد مصيره على حسب قوله.

من حين إلى آخر يرمي سليم طقما على السرير.

مراد: ***-لا أفهم لمَ لا تلبس إلا من ملابسي؟ وإن كان الأمر كذلك فلمَ تشتري الملابس من أصله شاركني في ملابسي وانتهى الأمر.***

سليم: ***-لأن ملابسك رائعة وذوقك جميل، أما أنا فهنى من يختار ملابسي على الدوام، ويظهر أن ذوقي يوافق ذوقك لا ذوقها مع هذا لا أحب أن أصارحها لألا تنزعج.***

مراد: ***-لا أريد سماع قصصك الغرامية مع هنى، عليك ترتيبها بعد أن تجد ما تريده من لباس وهذا ما يهمني حاليا.***

سليم: ***-أتركني أركز.***

مراد: ***-أنا سعيد لأنك قررت أن تعلن اليوم تاريخ زواجك مع هنى هكذا سنتخلص من كلامك الدائم عنها وما فعلته وما قالته...***

سليم: -***أنا أيضا سعيد***

يقف مراد ويتوجه إلى النافذة ويطل ويقول: -***هل تعتقد أني سأتزوج يوما ما مع كل ما يقع بيني وبين ليلى من كلام ومشاحنات؟ أتمنى ألّا تتأثر ليلى وتنزعج من حضوري معكم خاصة و أنها دوما أرادت أن نتزوج قبلكما.***

سليم وفي يده طقم فخم أسود: -***أخي، ليلى تحبك ولن تنزعج وقد قالت لأختها بعد انفصالك عنها أنها لن تقبل بأن يحل أي رجل محلك ولهذا لم تتزوج بعد مع أن الكثير طلبوا يدها في الأعوام الثلاثة هذه ... أنت ... أنت محظوظ أخي... فأنا أحبك ووالدينا ... من أيضا ... آه ليلى ابنة عمنا الجميلة هههههه.***

يقترب مراد من سليم وهو يبتسم ويعانقه وهو يقول: -***مبارك أخي الصغير.***

كما هو الحال في منزل سليم فالكل أيضا على أهبة الاستعداد في منزل هنى...

هنى في غرفتها تتزين وتجري هنا وهناك، تقيس هذا وتترك هذا، تلبس هذا وتنزع هذا، وكأنها لا تدري ما تفعل وما تختار.

في المطبخ، الأم على عجلة من أمرها، تعد الحلويات والأكل وتعد الكثير من المأكولات الشهية للمناسبة السعيدة.

أما في غرفة الوالدين، فالوالد قد انتهى لتوه من لبس طقم جميل، ويحاول وضع الربطة بصعوبة لأنه ليس من عادته وضع ربطات العنق، لكن من أجل هذه المناسبة هناك استثناء، ولأن العريس ابن أخيه الغالي، هو مستعد أن يغير من عاداته في الملبس والأكل والنوم...

ليلى الوحيدة التي لا تفعل شيئا، وكأنها غير معنية بالأمر، فهي مستغرقة في النوم ومغطاة في السرير من القدمين إلى الرأس.

في الصالون، الجد والجدة جالسان يتحدثان بجدية عن هذا الزواج القريب والذي يرى الجد من وجهة نظره أنه لابد من تأخير حفل الزفاف قدر المستطاع.

أصبح الكل في السيارة أخيرا بعد أن طال الانتظار من الوالد.

الوالد: ***-ألم ننس أحدا؟***

الأم: ***-ومن تريدنا أن ننسى؟***

الأب: ***-أنت مثلا ... عشر ساعات لتتزيني يا امرأة إعيب عليك.***

يشعل مراد السيارة وينطلق بهم وهو يضحك من قول والده الجالس بجنبه في حين كان سليم والأم جالسان من الخلف.

الأب: ***-اعتقدت أنكم لن تنهوا أبدا استعداداتكم ... هذا كثير خمس ساعات لتتجهزوا إنها*** 15 h ***... لالا لالا هذا كثير***

سليم: ***-أنا لن أتزوج إلا مرة في حياتي***

الأب: ***-سليم النساء من يقول هذا***

الأم: ***-الوقت تغير يا جلال وعلى كل هو محق فهو لن يتزوج إلا مرة واحدة.***

الأب: ***-ألم أقل لك أنت سبب فساد الأبناء.***

الأم: ***-أف، الوقت تغير وأنت لا تتقبل الأمر، يا لك من رجل تقليدي.***

الأب: ***-شكرا يا حضارية ويا متحضرة.***

ليهدئ مراد الوضع بين والديه.

مراد: ***-هههههههه أخي من تغير لا الوقت***

سليم: ***-أشعل لنا أغنية*** Cheba Djenet - Laaroussa

مراد: ***-هههههههه حسنا يا أخي فذوقك الغريب عجيب مع هذا لن أعارض كون اليوم يومك كما يقولون اليوم يومك.***

يصمت الكل بعد اشعال المسجل.

في منزل ليلى، انتهت التجهيزات أخيرا وبات الكل جاهزا ينتظر الضيوف باستثناء ليلى.

الجد رجل على رجل كعادته: ***-لمَ ليلى لمْ تفق إلى الآن؟ أتقضي كل عطلتها في النوم؟ هذا غريب وغير معتاد منها.***

هنى بسخرية: ***-الفضل يعود لك كما هو حال كل شيء جميل يقع علينا في حياتنا فنتلوى له ونقهر منه قهرا لا مثيل له، أنت لم تسمح لها بالحصول على إجازة لأكثر من ثلاثة أعوام...***

تقاطع الأم كلام هنى كي لا تتمادى كعادتها في الإساءة لجدها: ***-كانت مريضة ولم تنم بسبب الحمى ليومين وبما أنها نائمة الآن لم أرد إيقاظها، حتى أني نسيت إخبارها بمجيء عمها وعائلته اليوم... لكنها كانت مريضة زكام وحمى وسعال...***

الجد: ***-هكذا أفضل.***

هنى بسخرية: ***-لا أفهم لمَ تحب أهل عمي لهذا الحد***

الجد رجل على رجل وبسخرية: ***-لأن مراد دوما شجع ليلى أن تكون قائدا، ولأنه دائما وقف مع ما أريده لا عكس ما أريده.***

الجدة: ***-هل تحسن حالها الآن؟ المهم أن تكون بخير في أسرع وقت ممكن.***

يسمع طرق على الباب وتسرع هنى للفتح.

بعد وهلة، تعاود هنى الدخول إلى الصالون وهي حاملة لباقة ورود ضخمة وهي مبتسمة وخلفها أهل العم، يجلس الكل بعد أن سلموا على أهل البيت.

اشمئزاز الجد من مراد وأهله كان صارخا ولم يخف الأمر عن أحد.

والد مراد وهو يشرب كأس عصير قدمته لهم هنى: ***-أخي تعلم لمَ نحن...***

والد ليلى: ***-لتحديد عرس الغاليين سليم وهنى.***

الجد: ***-لا أفهم سر استعجالك يا هنى..... الحياة أمامك، أنت لازلت صغيرة في مقتبل العمر وبإمكانك أن تهتمي أولا بالعمل وبأمور أخرى.***

أم ليلى وهي محرجة لما سمعته من والدها: ***-والدي يحب المزاح هههههه.... أليس كذلك.***

وهي تنظر إلى هنى...

أم مراد بتكبر وسخرية: ***-كلنا نعرف مزاحه وخفة دمه فهو معروف بهذا.***

هنى بلؤم: ***-ألا تريد كأس عصير بارد لتبرد أعصابك يا...جدي أقصد يا كولونيل***

الجد بغضب: ***-أصمتي.***

يحل الصمت لبرهة ثم يقول سليم: ***-ما رأيكم أن يكون عرسنا بعد شهر من التخرج***

هنى: ***-اه.....أي بعد 4 شهور لن يكفيني الوقت لشراء ما أريد***

سليم: ***-بعد 8 شهور هل هذا يكفي.***

هنى: ***-ااه.....كثير.***

سليم: ***-اقترحي أنت يا هنى.***

هنى: ***-بعد 6 شهور.***

سليم: ***-5 أنسب لي تعلمين مع العمل في شركة والدي وأشغالي الأخرى.***

هنى: ***-موافقة.***

يستغرب الكل من تصرف هنى وسليم.

الجدة: ***-لمَ لمْ تقررا وحدكما دون إقامة أي عزيمة ودون إتعاب الكل بالمجيء ففي الأخير لا أحد اختار سواكما.... ولم تهتما برأي أحد.***

أم مراد: ***-سعيدة من أجلكما ... يا حبيبي قلبي***

تستيقظ ليلى على أصوات كثيرة فتسرع بالتوجه إلى الصالون بملابس النوم لتستبين الأمر، تقف مذهولة من وجود الكل بما فيهم مراد.

الأم: ***-تعالي لا غريب أهل عمك..أهل عمك جاءوا لتحديد زفاف هنى وسليم.***

تجلس ليلى بجانب أمها.

مراد: ***-هل أنت بخير...سمعت أنك مريضة و...***

يقاطعه الجد: ***-هي بخير منذ أكثر من ثلاثة أعوام***

هنى بخبث: ***-حقا، أحسب أنك بعيد كل البعد عمّا يسمى الفراسة وفهم دلالات تعبير الوجه فالتجهم لا يعني السعادة والصمت لا يعني الفرح...***

الجدة: ***-هنى اليوم يوم مهم بالنسبة لك وأعتقد أنه عليك التركيز في موعد زفافك أكثر من تركيزك في المواضيع الأخرى.***

يصمت الكل بعد هذا، فلا أحد يجرأ على قول كلمة بعد ما قالته هنى لجدها، وهم الذين كانوا يرون غضبه العارم بعد سماعه لقولها المهين نوعا ما له.

أم مراد وهي تنظر إلى ليلى ومراد لتغيظ الجد وتزيد من ثورة نفسه مساندة بذلك هنى: -***عقبالك يا ليلى...***

الجد: -***سأزوجها برجل يناسبها فيرفع قدرها وشأنها بين الناس ... لا من لا يستحق حتى سماع صوتها.***

تبدأ ليلى بالسعال دون توقف بسبب مرضها، يقف مراد ودون تفكير منه يسرع إليها وهو يقول: -***ليلى، هل أنت بخير؟ هل تشعرين بألم؟ ويأخذ يده ويضعها على جبهتها للتأكد من حرارتها...***

الجد يدمدم بتذمر بعد أن رأى وجه ليلى المحمر: -***ألن نتخلص منك؟ صدق من قال أنت كشوكة عالقة في الحلق، لا هي تريد أن تدخل البطن فتؤذي أكثر ولا هي تريد الخروج فتريح.***

يدخل حسان وهو يقول: -***وجدت الباب مفتوحا فدخلت... أريد نصيبي من الحلوى لمَ لمْ أعزم؟ هل أنتم غاضبون مني أم ماذا؟***

يعود مراد إلى مكانه محرجا ويجلس قرب حسان المشغول بأكل الحلوى.

الجد يدمدم: ***-لا ينقصنا سواك يا حسان التافه***

حسان: ***-كيف حالك جدي.***

الجد: ***-أفضل من الكثير من الناس.***

يفهم حسان أن الجد غاضب، فيصمت ولا يعقب على ما سمعه.

انتهت عطلة ليلى بعد بضعة أيام من اختيار يوم زفاف هنى، واليوم هو يوم عودتها إلى العمل رسميا.

الأم واقفة تغسل الأواني...

ليلى جالسة وأمامها كأس قهوة بالحليب موضوع على الطاولة.

تستدير الأم إليها: ***-انتهت عطلتك... تعلمين، اعتدت وجودك في البيت معي لا أعرف كيف سأعتاد مرة أخرى على غيابك***

ليلى: ***-أنا أيضا... أحس بالارتباك لأنه أول يوم لي في العمل بعد العطلة وسأفتقدك أمي...***

تسمع ليلى والدها ينادي عليها: ***-ليلى... ليلى ... أسرعي إلى هنا...***

تخرج ليلى من المطبخ مسرعة وفي يدها كأس القهوة بالحليب وهي لابسة لباسها الرسمي

في الصالون، الأب وهنى جالسين يحدقان إلى التلفاز بكل تركيز.

ليلى وهي واقفة: ***-ماذا هناك بابا لمَ ناديت علي؟***

دون أن ينظر إليها، يشير إلى التلفاز: ***-حريق مهول اشتعل الليلة في مصنع للكيماويات ... ووفق ما فهمت احتجز بعض العناصر من مركزك هناك بعد محاولتهم لإنقاذ عمال المصنع.***

ووفق الأخبار فإن العناصر المحتجزين أنقذوا العديد من العمال المحتجزين في النار وفي المحاولة الأخيرة لهم لإنقاذ الكل حاصرتهم النار.

ليلى: ***-أنا ذاهبة.***

الأم: ***-لا داعي للمجازفة ...لا تكسري قلبي عليك... أقسمت عليك بالله... لا تكوني مندفعة حياتك مهمة لي.***

ليلى وهي تغلق باب الخروج: ***-حسنا أمي.***

تنزل درج العمارة جريا، تركب سيارتها على عجل وتنطلق بسرعة خيالية.

تقود السيارة وهي تتحدث مع أحدهم على الهاتف عن طريق السماعات...

ليلى: ***-أريد ملابس واقية... لمَ؟ ولكن ما هذا السؤال العجيب... كولونيل محمد نصير لا علاقة له بالأمر الذي أطلبه منك في الوقت الراهن... أنا المسؤول الأول في المركز والواجب يطلب مني مساعدة من تحت مسؤوليتي..أنا من عليه مساعدتهم... حسنا... أرسل دورية أخرى للمساعدة... لا حاجة لإخبار جدي، ليس عليك تذكيري دوما بمن يكون جدي وأنه عليّ إخباره بكل شيء... نحن في موقف صعب، وعلينا أن نتكاتف لمساعدة العناصر المحتجزين، إنهم من مركزنا وجدي مسؤول على كل المراكز على المستوى الوطني ولن يكون مهتما بأمركم أكثر مني.***

تقفل الخط وتنزع السماعات بسرعة وترميها على المقعد الخلفي.

وتزيد من سرعة السيارة.

بعد مدة تتذكر أمرا فتمد يدها إلى الخلف وتسحب السماعات تركبها من بعد ذلك تتصل بمراد.

مراد: ***-ليلى؟***

ليلى: ***-أحببت سماع صوتك من يدري قد تكون المرة الأخيرة التي نتحدث فيها معا.***

مراد في مقهى المستشفى جالس مع حسان لأخذ وقت من الاستراحة وشرب القهوة.

يضع فنجان القهوة ويقول: ***-ماذا هناك؟***

ليلى: ***-أعرف أنك مشغول ولست على دراية بما يبث على القناة الوطنية؟***

يستدير مراد إلى المسؤول على المقهى ويقول: ***-من فضلك أيمكن أن تغير القناة وتضع بدلها القناة الوطنية.***

الرجل: ***-حسنا سيدي المدير.***

يرى مراد أنه بث مباشر لوقائع الحريق.

مراد بخوف: ***-هل أنت هناك؟***

ليلى: ***-أنا متجهة إلى مكان الحريق.***

مراد بخوف: ***-لا تذهبي أرجوك.***

ليلى: ***-زارتني عمتي في المنام أمس وطلبت مني اللحاق بها والذهاب معها.***

تخنقها الدموع وتستطرد بصوت مبحوح مخنوق بالدموع: ***-كانت تحمل بذلة الحماية المدنية الخاصة بي على كتفها وهي تقول لم أكن أعرف أن لقاءنا سيكون سريعا.***

مراد: ***-يا إلهي!، ليلى ماذا تقولين...***

تقاطعه: ***-أحبك وأعرف أنك تعرف بالأمر ودوما كنت تعرف بالأمر... اليوم وأنا أتوجه ربما لحتفي، أتساءل إن كنت أتتبع حلم عمتي أم حلمي...هل الحماية المدنية حلمي أنا قبل أن يكون حلمها هي؟***

بمرارة تضحك: ***-هههه ...لا، لم يكن حلم عمتي بقدر ما كان حلمي أنا، فلو لم يكن الأمر كذلك لما اخترت الحماية المدنية على حساب سعادتي فأنت سعادتي في هذه الدنيا الفانية.***

أريد أن أطلب منك أن تسامحني لأني لم أخترك مع حبي الكبير لك.

يرى مراد ليلى على التلفاز تخرج من سيارتها وهي تنتزع السماعات وتقفل الهاتف وترمي بالكل داخل سيارتها.

يركز مراد على التلفاز، كما هو حال كل الموجودين في المقهى، ويرون جمعا من الناس يحدقون إلى الحريق وصراخ والصحفيين والإطفاء يجرون بعشوائية في كل الاتجاهات...

تصل ليلى وبعد أن نزلت من السيارة واقتربت من مكان الحريق يتجمع حولها الإطفائيون.

حميدة: ***-بمَ تأمرين أيها القائد***

الصحافة يصورون وينقلون على المباشر ما يحدث بين ليلى والآخرين.

ليلى: ***-من المحتجزون؟***

سمير: ***-حميد...فريد...وليد. منى وو... زينب***

ليلى: ***-ألم يبق مدنيون في الداخل... أقصد عمال؟***

مريم: ***-حسب العمال الذين أنقذناهم وحسب الأخبار التي وصلتنا من مدير المصنع فإن عدد الذين كانوا في المصنع الليلة أربعون...استطعنا إخراج 37 وبقي ثلاثة مع أربعة من عناصرنا.***

يقترب أحد الإطفائيين الذي وصل لتوه إلى عين المكان ويحيي ليلى باحترام ويقول: ***-حضرة القائد، وصلت المعدات التي طلبتموها.***

ليلى: ***-حسنا سأدخل لإنقاذهم أنا المسؤول عليكم ولهذا أنا مسؤولة على حياتكم وسلامتكم***

سمير***:- سأدخل معك***

ليلى: ***-المصنع معرض للانهيار في أي لحظة بسبب الحريق والضغط .... لا نريد ضحايا آخرين***

تلبس الملابس الواقية وتصور وهي تدخل

تنجح في إخراج العمال وعناصرها فريد وليد ومنى.

بعد هذا تحاول الخروج مع زينب المصابة في رجلها، ولكن قبل وصولهما تقريبا من البوابة الكبيرة للمصنع بخطوة واحدة وزينب متكئة على كتفها والكاميرات تنقل الأمر يسمع دوي كبير، فيهوي المصنع إلى الأرض، تفهم ليلى الأمر قبل أن يبلغ السقف إليهما، فتدفع زينب بقوة وتنقذها وتدفن هي تحت الركام.

تنجح زينب بالخروج سالمة مع إصابة عميقة في الرجل وحروق في الرقبة وفزع كبير لأن ثمن إنقاذها كبير وثقيل.

ثمن حياتها قد يكون موت أغلى صديقة إليها ليلى.

يصل الكولونيل محمد ناصر إلى عين المكان تماما في الوقت الذي وقع المصنع على ليلى فيصاب بجلطة دماغية ينقل على إثرها إلى المستشفى العسكري عين النعجة.

يظل في غيبوبة كلية لستة أيام.

يفتح عينيه ويجد زوجته جالسة قريبا من سريره.

الجد: ***-هل وجدوا جثتها؟***

الجدة: ***-وجدوا جسدها لا جثتها فهي لم تمت...***

يقاطعها: ***-أين هي؟***

بعد تردد منه يكمل ويقول: ***-كيف حالها؟***

الجدة: ***-كسر في الرجلين والكتفين وحروق في الرقبة***

الجد: ***-أريد رؤيتها؟***

الجدة: ***-هي في غيبوبة ولن تستطيع رؤيتها حاليا لأنها لا تزال في العناية المركزة ولن يسمح لك بالدخول، سمعت أن كل عناصر مركزها عاكفون في المستشفى وخارجه يطالبون برؤيتها والتأكد من سلامتها، ولكنه حاليا لم يسمح لأحد منهم بزيارة ليلى... من كان يظن أنها ستنجح في كسب ود كل عناصرها بهذه السرعة، وهي التي كانت تعاني من كلامهم حول موضوع أنك من أوصلتها إلى ما هي عليه؟***

يحل الصمت، كون الجد لم يرغب في الإجابة على تعليقها الذي اعتبرته هي سؤالا من نبرة كلامها التي تشير أنه سؤال.

بعد تفكير طويل الجد: ***-سأطلب من مراد أليس مدير المستشفى حيث هي موجودة.***

الجدة: ***-هي في المستشفى المركزي حيث مراد هو المدير فقد رفض مراد وأهلها أن تقل إلى مستشفى آخر... يريد أن يشرف بنفسه على حالتها.***

يبكي الجد حتى تتخضب لحيته بالدموع، وكل هذا تحت أنظار زوجته المستغربة من الحالة التي هو فيها.

الجدة: ***-لم تبك يوما أحدا بل دوما أحببت أن تبكي غيرك لترضي كبرياءك.***

الجد: ***-دوما اعتقدت أني أريدها بجانبي لجعلها خليفة لي في العمل، لم أتصور يوما أني كنت أريدها بجانبي حبا فيها وإرضاء لإحساس الأبوة الذي حرمت منه لأن ابنتاي لم تحباني يوما بحجة أني صارم ولا أحب سوى نفسي.***

أنا أحب ابنتاي مع الاختلاف الكبير في آرائنا، أردتهما ناجحتين، لكنهما فضلتا الزواج والابتعاد عني. لم أسمع يوما منهما كلمة حلوة تهدئ من روعي وتطفئ نار احتياجي لهما بصفتي والدهما...العجيب في الأمر أنك لو تحدثت معهما لقالتا أّني ظلمتهما مع أن الأمر غير صحيح. أنا لم أقف يوما ضدهما بل فقط حاولت اقناعهما بطريقة نوعا ما فظة.

تكبدت عناء الوحدة مع أن ابنتاي حيتان ترزقان ولم أَشْكُ لأحد مصابي، صبرت وأنا المتخبط في الألم كشاة في

قيدها لا تقدر لنفسها الخلاص. لم تتوقف مأساتي عن النمو، بل كبرت حتى بلغت مبلغ الشباب حين هربت إحداهما إلى الخارج بحجة أني صارم وهي لا تتحمل صبرا لطباعي.

لم تتوقف مأساتي عن النمو، فكان لا بد لها أن تبلغ مبلغ الكهولة حين ماتت خديجة وحملت وزر موتها، فنبذت من أمل ومن كل عائلة زوجها، مع أني ورب الكعبة لم أكن من أقنعها بل اقتنعت لوحدها، فقد كانت مغرمة بزميل لها في الطب قرر الدخول إلى الحماية المدنية، فلحقت به إلى الحماية المدنية لتكون بجانبه على الدوام وبالطبع مات الاثنين في يوم واحد.

أتت إلي تستحلفني بالله أن أساعدها للدخول إلى الحماية المدنية بعد أن شرحت لي أسبابها واقتنعت بها. وبالطبع استحلفتني بالله أن لا أخبر أحدا من أهلها عن قصتها هذه، ما ذنبي أنا في ما وقع لها؟ تألمت أنا أيضا لموتها وكدت أنهار لمصابها.

معاناتي لم يكن لها حدود، مع هذا لم يسمع بها أحد من البشر إلا ليلى، كانت هنا دوما من أجلي، أحبتني كجد لها ولم تلمني يوما. على الدوام كانت حنونة عليّ ولم تسمعني يوما ما يعكر فؤادي على عكس أختها هنى.

فهمت طبعي دون أن أشرح لها.

أتذكر حين كانت صغيرة، كلما أعطيتها شيئا قالت: هذا كثير جدا ... فأخذت القليل وتركت الكثير من الشيء الممنوح لها. هي قنوعة مهذبة لا تقدر أن تأذي نملة، هي تفضل أن تتألم هي على أن يتألم غيرها.

أحببت ليلى لطيبتها وأردتها معي لتعوضني عن ابنتاي، لا لتخلفني في العمل... احساسي نحوها أمر لم أفهمه إلا حين رأيت الركام يغطي جسدها، انتفض قلبي مثلما لم ينتفض يوما.

الجدة: ***-وأخيرا فهمت ما في نفسك.***

مضت الأيام مسرعة ولا تغير في حالة ليلى غيبوبة كلية.

عام كامل من الغيبوبة زارها فيها الكل عدى أمها، فكلما وصلت إلى باب الغرفة حيث هي، وقبل أن تدخل تصاب بهبوط في الضغط والسكر فتنقل على عجل إلى الطوارئ.

بالنسبة لمراد، الأمر مأساوي فعليا، لكنه بدأ يعتاد على الأمر شيئا فشيئا، حتى أنه أصبح يقرأ لها يوميا جزء من كتاب تحبه كما كان يفعل معها حين كانا صغيرين.

اعتزل الجد العمل بعد ما وقع مع ليلى وزهد عن كل شيء إلا على زيارة ليلى فهو لم يخلف يوما موعد زيارة إلا حين كان في المستشفى بسبب الأزمة.

هنى وسليم ألغيا موعد الزفاف إلى حين تشفى ليلى.

بعد عام من الغيبوبة أصبحت ليلى تدرك ما يحيط بها وتصغي لمن يحدثها، لكنها لا تقدر على أن تفيق.

كانت تصغي للكتب التي كان مراد يقرأها لها وللقرآن الذي يجوده لها والدها وللكلام التافه الذي ترويه لها هنى، وللكلام القليل الذي يقوله لها سليم أو والدي مراد، وبالطبع لبكاء الجد الدائم عليها وعلى وحدته دونها، ولأقوال وقصص عناصر مركزها عن ما يحدث في المركز في غيابها.

دوما تساءلت عن عدم سماع صوت أمها وخافت من الأمر كثيرا.

عام كامل وستة أشهر في الغيبوبة دون وعي.

تعزم أم ليلى على أن تتماسك ولا تصاب بالمرض كالعادة لتتمكن من رؤية ابنتها وزيارتها، يرافقها مراد بعد أن منحها مهدئ، يقف قرب الباب لحالة الطوارئ في حال إذا ما أصيبت بالإغماء أو انخفاض في الضغط كالعادة، وتدخل هي وتجلس

على كرسي قرب ليلى، تأخذ يد ابنتها بين يديها وتقبلها وتلامس بها وجهها.

تبكي دون توقف من بعدها تبدأ بمحادثة ليلى: -***لا أعرف إن كنت تعين ما نقوله لك أم لا، لكني أحب أن أحدثك عن أشياء ربما قلتها أو لم أقلها لك سابقا.***

حياتي كلها كانت صعبة قبل مجيئك، فلا أحد كان يحسن إلي، ولا أحد كان يسمعني كلمة حلوة تفرح قلبي، فقد كان والدي صارما لا يتكلم إلا نادرا وإن تكلم فقد كان كلامه مجرد توجيه لنا لما يجب علينا القيام به، لم يكن أبا بقدر ما كان الموجه أو المرشد.

كان مزاجيا سريع الغضب، لا يرحمنا، أما أمي فحدث ولا تخجل، فلم تكن سوى امرأة من الطبقة المخملية، لا تهتم بأحد سوى نفسها أو لباسها، لم تسأل يوما عن حالي أوعن ما أحسه ... تعرفين حتى في هذه الفترة التي أعتبرها أصعب فترة تمر عليّ بسبب غيبوبتك، لم تفكر أن تتصل بي أو تواسيني ببقائها معي لليلة لتعيد إلى قلبي القليل من الهدوء، حتى أنها سافرت إلى الخارج لعدة مرات في هذه المدة، محقة هي خائفة أن يفوتها يوم دون متعة فالشخص المستلقي هنا ليس من لحمها ودمها.

أما أختي، كانت مثل هنى حتى أنهما يتشابهان في المظهر ليس في طريقة التفكير فقط. كانت تحب نفسها حبا جما ولا تعيش إلا لنفسها لا يهمها أحد سعادتها أهم من كل شيء، سعادتها أغلى من دموع البشر بأكملهم ولن أشرح لك ما كانت تفعله في.

أما والدك فهو طيب مثلك لكنه لا يتحدث... دائم الصمت موجود لكنه غائب.

أنت فقط من كنت هنا لأجلي، وهذا من صغرك، ... كنت تسألين دوما عن حالي وتسمعينني دوما الكلمة التي تناسب حالتي والأهم من كل هذا كنت تقولين لي يوميا الكلمة السحرية أحبك أمي.

أنا أيضا أحبك غاليتي، أنت كل حياتي، أنت أمي التي لم تسمعني يوما كلمة أحبك، أنت والدي الذي لم يقل لي يوما هل أنت بخير، أنت أهم من في حياتي يا ابنتي الغالية... أرجوك عودي إلى أمك.

أنا لم أملك يوما من يهتم لأمري سواك ويريح قلبي مثلك...

تحرك ليلى يدها الموجودة بين يدي أمها وتفتح عينيها لأول مرة بعد عامين وستة أشهر.

تصرخ أمها: ***-ليلى.***

ويغمى عليها، يسرع مراد بالدخول إلى الغرفة يطلب من الأطباء إسعاف الأم ليهتم بليلى شخصيا.

استغرقت الفحوصات وقتا طويلا، مع هذا ليلى لم تقل أي شيء، لم تنطق ولو بكلمة واحدة.

بعد الانتهاء من الفحص الكلي لها يقف مراد ويحدق فيها ويقول: ***-ألا تقدرين أن تتحدثي؟ الأمر غريب فالفحوصات تؤكد أنه لا وجود لأي شيء يمنعك من الكلام.***

تستدير ليلى إلى الجهة الأخرى وتغمض عينيها، كانت تسمع يوميا تأسفه في المرحلة الثانية من غيبوبتها والتي كانت فيها تعي لما حولها.

مراد: ***-ماذا هناك؟***

ليلى بصوت خافت يكاد لا يسمع: ***-لا أريد التحدث معك.***

يجلس مراد على سريرها: ***-لمَ؟ هل يمكن أن أعرف أسبابك؟***

ليلى: ***-أسبابي هي التي كنت تتأسف لي عليها يوميا حين كنت في الغيبوبة.***

مراد: ***-ألم تهتمي إلا بالأسباب؟ ماذا عن حبي لك ودموعي التي ذرفتها يوميا على هذا السرير وأنا أتوسل منك العودة.***

ليلى: ***-حبك مشكوك فيه.***

مراد: ***-حسنا إن كان حبي ودموعي مشكوك فيها سأريحك مني، ابتداء من الغد سيشرف على حالتك طبيب آخر غيري.***

ليلى: ***-أفضل***

مراد: ***-حسنا يا ليلى.***

بغضب يخرج من الغرفة فقد فهم من تصرفاتها وعدم نظرها إليه طيلة الفحص ما كانت تريد قوله وكيف لا وهو الذي كان يفهم ما تريد أن تقوله دون أن تقوله.

مضى عام كامل على شفاء ليلى، عادت إلى العمل بعد ترقيتها إلى رتبة كولونيل من طرف الوزير الذي زارها في المستشفى شخصيا واحتفل بخروجها من المستشفى وبالطبع نقلت القنوات الوطنية كل هذا على المباشر.

أصبحت ليلى خليفة الجد بمعنى الكلمة، حتى أنها حصلت على اللقب الشرفي الذي كان يحمله ألا وهو البطل، أما هي البطلة.

احتفل كل عناصر مركزها بعودتها إلى المركز خاصة زينب التي بكت طيلة الحفلة من الفرح بشفاء ليلى.

رفضت ليلى تغيير مكان عملها مع حصولها على لقب الكولونيل، وفضلت البقاء مع زينب ومجوعتها وشكرها لذلك جميع من في المركز.

تدخل ليلى إلى المنزل وتجد سليم ومراد جالسان مع هنى، تتظاهر بعدم رؤيتهم وتدخل إلى غرفتها فمنذ استفاقتها وهي لا تحدث أحدا منهم، دائما غاضبة منهم لما فعلوه بها حين دخلت للعمل في الحماية المدنية.

لا تفهم لمَ لمْ تغضب منهم إلى الآن أو ربما استرجاعها للأحداث في المرحلة الثانية من غيبوبتها وفرزها والتعمق فيها من جعلها كذلك.

ساند سليم وهنى مراد كثيرا وهذا على حسابها هي.

وبالطبع انزعج الثلاثة من تصرف ليلى خاصة مراد.

مراد: ***-ماذا يحث لأختك؟ أكثر من عام وهي لا تحدثني***

هنى: ***-أنا أيضا لا تتحدث معي إلا إذا حدثتها أنا أولا.***

سليم: ***-أحسب أنها غاضبة منا، على كل أحسب أنها محقة لكني حقا لم أتصور أنها مهتمة بحماية عناصر الحماية المدنية لدرجة أنها مستعدة لمنح روحها من أجلهم... هي***

حقا مستعدة لتفعل المستحيل من أجل حلمها وهذا يجعلني أتأسف لأني لم أساندها.

هنى: ***-أجل هي غاضبة مني ومنك أجل ... لكن من مراد أشك في الأمر، لا أعرف إن كان إحساسها إحساس غضب أو شيء آخر.***

سليم: ***-ماذا تقصدين؟***

هنى: ***-أعتقد أنها ... سأقولها ولا تغضب مني مراد ... هي ليست غاضبة منك ولكنها فقط على علاقة منذ فترة برجل عرفه عليها جدي... تعرفون بعد عودته من الحج مؤخرا والمأدبة التي أقامها بالطبع لم أذهب إليها ولكنها تعرفت على هذا الرجل هناك خلال المأدبة.***

مراد بغضب: ***-من يكون؟***

هنى: ***-ابن الوزير السابق حليم فدائي.***

يقف مراد وبهدوء يتوجه إلى غرفة ليلى يدق الباب ويدخل.

يجد ليلى مستلقية على السرير.

ليلى: ***-من سمح لك بالدخول إلى هنا؟***

مراد: ***-أنا من سمحت لنفسي.***

تقف لتخرج من الغرفة لكنه يسحبها من يدها ويلقيها على السرير بعنف.

مراد: ***-أتنتقمين مني أم تريدين إفقادي لصوابي؟ ماذا تريدين تحديدا؟ اعتذرت منك آلاف المرات توسلت إليك، آلاف المرات لقبول الزواج مني، والآن أسمع أنك على علاقة مع رجل آخر غيري... أتريدين رجلا غيري ليلى؟***

لا تجيب.

مراد: ***-قولي ... أتريدين غيري زوجا لك؟ إن كان الأمر كذلك لن أزعجك حتى أني سأغادر هذا الوطن كله كي لا نتقابل مرة اخرى. دوما ترجيتك أن تسامحيني بعدما فهمت خطئي وأدركت مدى حبك للحماية المدنية ومدى استعدادك للتضحية بحياتك من أجل حلمك ومن أجل عناصرك في المركز، منذ استفاقتك من الغيبوبة وأنا ألاحقك وأتوسل الزواج منك لأني كنت أعتقد أني لازلت الرجل الوحيد في قلبك، أما إن كان هناك غيري داخله خرجت منه أنا دون عودة... أخطأت في حقك وقد طلبت السماح، لكني لم أخنك يوما حتى بفكري لم أخنك...***

دوما لا تقول أي شيء.

مراد: ***-أحبك كثيرا وأنت تدركين هذا، وأخطأت في حقك كثيرا وأنا أدرك هذا وأعدك أني سأقف معك مهما كان نوع حلمك فقط سامحيني.***

دوما لا تقول أي شيء.

مراد: ***-صمتك دليل على أن قلبك أخذ مني.***

يفتح الباب ليخرج ويسمعها تقول: ***-لا يوجد سواك في قلبي.***

يغلق الباب ويسرع بالجلوس قربها ويعانقنها حتى الاختناق.

مراد: ***-ماذا عن هذا الرجل الذي أخبرتني عنه هنى تعرفين قدر غيرتي منك.***

ليلى: ***-إشاعات أطلقها حسان لأنه كان موجودا في المأدبة التي أقامها الجد وتعرف قدر حبه للإشاعات.***

مراد: ***-زواجه من منى لم يغير في طبعه شيئا.***

ليلى: ***-لكن ذلك الزواج غير في منى الكثير، فقد عديت من حسان وأصبحت تحب الإشاعات والثرثرة مثله. أليست من نشرت الحقيقة وراء التحاق خديجة بالحماية المدنية... سمعت جدي يروي لجدتي الحقيقة يوم زيارتها له حين***

أصيب بالجلطة الدماغية فتنصت هي وحسان من الباب فتحصلا عل سبق صحفي نشراه كما ينشر مقال مهم.

مراد: ***-بفضل ذلك القول الذي نشرته عرفنا الحقيقة وتصالحنا مع جدك.***

ليلى: ***-أعتقد أنك محق.***

مراد: ***-دعينا من الناس ولنركز قليلا في حياتنا المستقبلية معا، فلنتزوج الآن قبل أن يحدث أي شيء.***

تضحك ليلى.

مراد: ***-موافقة؟***

ليلى: ***-بالطبع لا... أريد حفلا ضخما.***

يقاطعها: ***-نتزوج اليوم مدنيا والحفل الأسبوع القادم.***

يسحبها من يدها للذهاب وهي تقول: ***-ماذا عن وجود ولي أمري والشهود؟***

مراد: ***-أنا ولي أمرك وهنى وسليم وحسان الشهود أسرعي.***

وحقا تزوجا مدنيا في اليوم نفسه وأقيم الحفل بعد أسبوع من الزواج المدني.

في مركز تدريب الإطفاء والإنقاذ، (Ecole Nationale

de la Protection Civile Wilaya d'Alger)

ليلى واقفة على المنصة بلباسها والنجوم الكثيرة على كتفها لإلقاء كلمة للدفعة المتخرجة باعتبارها المسؤولة الأولى في الحماية المدنية: ***سعداء باستقبالكم هنا بمناسبة حفل تقديم الشهادات لخريجي المركز... نطلب من المتحصل على المركز الأول لهذا العام هيثم ابن حمود الصعود لتلقي رتبته.***

يصعد تحت التصفيقات وتضع ليلى نجمتين على كتفه.

يدخل مراد إلى الساحة بطقم أسود يحمل باقة من الورود بيد وطفلا في الثالثة بيده الأخرى وهو يجري ويلهث...

يقف ويبحث عن ليلى بين الناس التي عزمت إلى هذا الحفل الضخم المقام على شرف خريجي المركز.

يرى والديه فيسرع إليهما، يسلم عليهما وهو يقول: ***-ابني حبيبي سلم على جديك.***

الأم: ***-آه يا حبيب جدتك تعال إلي.***

يرفض الطفل الذهاب إلى جدته فتنزعج الجدة.

مراد: ***-آسف أمي، تعرفين أنه لا يحب الذهاب عند أحد حين يكون معي، حتى أمه لا يقبل أن تمسكه أو ترفعه حين يكون عندي.***

الأم: ***-لأنك تدللـه أكثر من اللزوم.***

مراد وهو يقبل ابنه: ***-أليس صغيري!***

مراد لابنه: ***-علينا تهنئة ماما على مركزها الجديد وتوليها منصب المسؤولة الأولى في الحماية المدنية.***

يودع مراد والديه ويتوجه حيث ليلى موجودة وابنه على يده.

يصل إلى حيث ليلى موجودة يسلم عليها ويمنحها الورود.

تمسك ليلى الورود بفرح وتضع يدها على شعر ابنها وهي تبتسم متهللة، بينما مراد يهنئها بصدق لتحقيقها لحلمها.

النهاية